

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	عن العدد الواحد

*

الأعلانات يضاف عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

٤٢٣٩٠ | تليفون رقم
٤٠٥٣٠ |

السنة الثانية

« القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٥٣ - ١١ يونيو سنة ١٩٣٤ »

العدد ٤٩

الامتيازات والدين

... حتى على حرم الدين ، وموئل علومه ، ومعقل آدابه ،
تمتدى الامتيازات الأجنبية الشثومة !! فقد حدثني من لا يجمل
ولا يكذب ، أن طالباً من جنوب افريقية ، يطلب العلم في أحد
المعاهد الدينية ، دمه الامتحان وهو في سكرة التعميم المصري
الخالص من الأذى والمن ، فلم يجد في رأسه غير وساوس الشباب
وغمائم الهوى ، ففرغ الى الكتاب ينقل منه نص الجواب ،
فأخذته عين المراقب ! ثم كان ما يقتضيه القانون والخلق والنظام
في مثل هذه الحال من طرد التلميذ وإلغاء امتحانه .

ولكن جنوب افريقية - وأرجو أن تتذكر - له على
شمالها امتيازات بالواسطة ، يدل بها على مصر لإدلال الخادم بسطوة
سيده ، ويصول بسيفها صولة العبد بسيف مولاه ! حملها أبو الغلام
على ظهره عشية الحادث ، وراح يهدج بها في فناء الدار المشرفة على
النيل وعلى أمة النيل ، فاهتزت الدار لشكواه حفاظاً وأنفه ،
وأقبلت حجرات الحراس على حجرات الخدم يتساءلون : أين أذن
الامتياز إذا تساوى الأجنبي والوطني في قانون عام ؟ وأين إذذ
الامتياز إذا جرى المحمي والمصري في الأمر على منهاج واحد !؟

فهرس المسد

صفحة	
٩٦١	الامتيازات والدين : أحمد حسن الزيات
٩٦٣	النيل تيميد مجدنا البحري : لكتاب كبير
٩٦٤	في مدينة بروسة : الدكتور عبد الوهاب عزام
٩٦٥	قصاصات الورق : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٩٦٨	الأثر اليوناني في الأدب العربي : الأستاذ نظري أبو السعود
٩٦٩	إنعاشها المؤمنون : الأستاذ أديب عباسي
٩٧١	ابن الهائم المصري القدسي : الأستاذ قدرى حافظ طوقان
٩٧٣	وجوب العناية بالقرعة المصرية : الدكتور محمد حسين هيكل
٩٧٤	الإصلاح الاجتماعي في مصر : الأستاذ عبد الله أمين
٩٧٧	بين العربي ودانتى : محمود أحمد الندي
٩٧٨	مصطفى باشا الخزينة دار : {
٩٨٠	الشيخ محمد أكرم الألفاني : {
٩٨١	طيور الأمانى (قصيدة) : الأستاذ أحمد راي
٩٨١	هند (قصيدة) : الأستاذ محمود خيرت
٩٨٣	الشعر عند ماسكولى : الأستاذ محمود الحقيف
٩٨٥	السوق دي لاروشفوكو : الدكتور حسن صادق
٩٨٨	الفكرة الذاتية والفكرة المرحلة : الدكتور عبد الفتاح سلامة
٩٩٢	بين الدين والعلم : ن . ش .
٩٩٣	النفس الرقيق (قصة) : إيفان بونين ترجمة . المحمدى
٩٩٧	للارد الأمانى (قصة) : أوسكار وايلد ترجمة عبدالقادر صالح
٩٩٩	مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام (كتاب) : الأستاذ محمود الحقيف

بح الخفاء واستغلن السر ، فسكن القوم سكون الطير في
ثورة الطبيعة ! فلما هدأت زجرجة الأسود للمتاز ، وانصرف عنهم
انصراف الليل للرعدي عن الصبح الوديع ، أفاقت الطير من دُوار
الزوبعة ، وفزعت الى الادارة العليا تستصرخها للكرامة ،
وتستمدنها على الرجل ، وتسلها أن تعارض شكايه بشكايه ،
وتقول في حرارة الموتور ومرارة النادم : لقد قال الرجل فأصرف ،
وسكتنا فأصرفنا !

وتشاء للمصادفات العجيبة أن يكون بين يدي الادارة آتئذ
دلو من الماء المنير البارد فتلقيه على ثورة الغضب فتفر ! ثم قالت
لهم بتلك اللجة الحاسمة والاشارة الحازمة :
نما فعلتم ! الحلم سيد الأخلاق

كان رجال الدين في المهود العزيزة مغزغ الفضيلة المروعة ،
وملجأ الفضل المضطهد . يعني الحاكم ، وبجحف السطال ،
وطغى المستبد ، حتى اذا بلغهم شدوا الشكيمة ، وردوا الجراح ،
واستقاموا على الطريقة . ثم كانوا في حضرتهم يستكينون لسلطان
الدين ، وسيطرة الضمير ، وعزة القناعة ، وصراحة الخلق ،
وشجاعة القلب ، وإعلان الحق في وجه الباطل وان ذهبت عليه
الدنيا ، وأريقت في سبيله النفس

وكان من ورع رجال الدين في الأزمان الصالحة سياج على حمى
الشريعة ، يرد عنها خباث الطمع ، وقائص المادة ، فلا تستخر
للظلم ، ولا تستخدم للحكم ، ولا تستغل للهوى ، وكانت كلمة العالم
هي كلمة الله ، يقولها فتصنو لها الجباه ، وتجد لها الشفاء ، ويستقيم
بها ميزان العدل .

فلما ابتلى المؤمنون بتفائق الحياة ، وقتن المتقون بزهره الدنيا ،
وذلل العلماء لشهوة الترف ، فرغبوا في وجهة للظهر ، وفراة
الركب ، ورفاهة العيش ، سلهم الله ميراث النبوة ، وحرهم
جلالة الدين ، فأصبحوا كسائر الناس ، يجرى عليهم ما يجري على
غيرهم من ذل الامتيازات ، وغل الحزازات ، وعتت السياسة
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لفظا

محمد بن الزبير

وفي الصبح الباكر كان مدير المعهد جالسا الى مكتبه يذكر
الله على ايقاع السبحة ، وذكّر الله تظمن به القلوب وتشجع به
الأنفس ، ولكن جرس التليفون كان اليوم على ما خيل الى المدير
أحد رنيناً ، وأشد صلصلة ، فزعزع القلب المظمن ، وضعضع
النفس القوية !

— ألو ! ألو ! من ؟

— الادارة العليا ! أعد الى الامتحان الطالب الذى أخرجته
منه أمس

— كيف وقد غش في الأجابه ، وضبطت معه أداة النش ،
وضاع من أيام امتحانه يوم ، وذهب من هذا النهار حصه ، وأعلن
الى الملأ أمر رفضه ؟؟

— أعد هذا الطالب من غير مناقشة !

وكانت اللهجة حاسمة ، والاجابه مفحمة ، فخرس التليفون ،
وخشم المدير ، وتناصر المكتب ، وخزى القانون ، وبُهِت الخلق ،
وعجب المدرسون والطلاب اذ رأوا التليذ الذى طرد بالأمس ،
يعود الى مكانه اليوم وهو أضخم مما كان جثة وانصر طلعة
وأطول رقبة ! !

تخالست العيون نظرات العجب ، وتبادلت الشفاه بسمات
السؤال ، ولكن المكاتب الرسمية ظلت واجمة ، والأسباب
السحرية الرهية بقيت محجوبة ، حتى أذن الله لها أن تظهر ،
فسكنت طبيعة المعهد ، وركدت ربح الفناء ، وثقلت حرارة
الجو ، وأخذ الدار ما يأخذ الأرض قبيل هبوب العاصفة !

وهنا لك اقتحم الدار ذلك الافريقي الذى رأيناه بالأمس يقرع
الباب الأحمر ، والامتيازات تجأ بالشكوى على ظهره ، ثم أثار
من حلقه عاصفة هوجاء ترمى بالسباب والسفه ، فلم تدع كرامة
على منصة ، ولا مهابة على مكتب ، ولا جلالة في ادارة ، حتى
تناولها باليب والزراية

من الذى جرؤ على أن يطرد ابني يا أين ذهبت
أوامرك بالأمس ؟ ما حال قوانينكم اليوم ؟ كيف ترفعون رءوسكم
غداً ؟ ثم تبرد وجه الرجل وتريد فوه فأرسل على القوم من مخش
البذاء ما محمد الله على الجهل برحمه حتى نكتبه !

« النيل »

تعيد مجدنا البحرى

لكاتب كبير

وحل بهم الضيق تحت أسوار المدينة المحصورة ، حشدت سفن المدد فى الاسكندرية ، وسيرها البحارة المصريون الى مياه المرمرية . وكان للسفن المصرية والبحارة المصريين دائماً أكبر نصيب فى الفتوحات البحرية التى كانت تسير الى ثغور الدولة البيزنطية وجزائر بحر ليجة . وظهرت براعة المصريين البحرية فى عشرات المارك أثناء الحروب والحملات الصليبية التى كانت تهبط دائماً على الشواطىء المصرية ، فى الاسكندرية ودمياط ، ثم فى يافا وعسقلان وعكا ، وقد كانت يومئذ ثغوراً مصرية . وتاريخ مصر الاسلامية حافل بهذه الصفحات المجيدة من تاريخنا البحرى .

أما عن الملاحة التجارية فقد كانت مصر الى جانب البندقية تتبوأ مركز الزعامة والسيادة فى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت البندقية تسيطر على الطرق الشمالية والشرقية الى ثغور المرمرية والبحر الأسود ، بينما كانت مصر تسيطر على الطرق الجنوبية والجنوبية الشرقية ؛ وكانت العلاقات بين الثغور المصرية ، والثغور الايطالية ولاسيا البندقية وبارى ونابل وجنوه فى منتهى الانتظام ، وكانت الماهدات التجارية والبحرية تعقد بين مصر والدول الايطالية فى كل العصور والدول . ولم تفقد مصر أهميتها البحرية والتجارية إلا بعد اكتشاف طريق الهند فى أواخر القرن الخامس عشر ، ثم الفتح العثمانى الذى انتهى بالقضاء على جميع قواها ومواردها وحضارتها الزاهرة .

وفى عصر محمد على استعادت مصر شيئاً من نشاطها البحرى ، فأنشئ الأسطول المصرى ، واستأنف البحارة المصريون جهادهم الجيد فى المياه اليونانية . ولكن أوروبا النصرانية لم تشأ أن تعود مصر الاسلامية فتساقطت فى السيادة البحرية فى شرق البحر الأبيض ، فانتصرت بالأسطول المصرى فخطره فى « نافارين » ؛ وكان محمد على أكثر عناية بإنشاء السفن الحربية ، فلم تتقدم الملاحة التجارية يومئذ تقدماً يذكر . وكان القضاء على الأسطول المصرى فى نافارين خاتمة عصر قصير من الاحياء البحرى .

وهاهى ذى مصر تستأنف اليوم بعد مائة عام أخرى ، نشاطها البحرى ؛ وتعود البواخر المصرية ، فتشق لجة البحر الأبيض حيثة وذهاباً . والفضل فى ذلك يرجع الى نشاط ذلك الصرح القومى العزيز — بنك مصر — ؛ وهاهى « النيل » تعود فتحمل علم مصر

بعد أيام قلائل — فى يوم الجمعة ١٥ يونيه — تسير الباخرة المصرية « النيل » من ثغر الاسكندرية الى نابل (نابولى) ثم الى مرسيليا . وهذه الرحلة الأولى لباخرة مصرية كبيرة فى عباب البحر الأبيض المتوسط ، يجب أن تثير فى نفوسنا كثيراً من الذكريات المجيدة . ذلك أن « النيل » تصل بهذا الفتح البحرى الميمون ما انقطع من عصور السيادة البحرية المصرية فى لجة هذا البحر الخالد ؛ فمنذ قرون بيده كانت مصر تتبوأ فى التجارة البحرية ، كما تتبوأ فى القوى البحرية مركزاً ممتازاً ، وكانت السفن المصرية تردد بين الاسكندرية ودمياط وبين ثغور الشرق حتى قاصية البحر الأسود ، والثغور الايطالية ، ثم ثغور الغرب والأندلس فى الطرف الأخير من البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تساقم بأعظم قسط فى النقل البحرى ما بين أوروبا والشرق ، وتزعم بثغورها معظم تجارة الشرق الأقصى . وكانت بين الاسكندرية وقسطنطينية ، وبينها وبين البندقية وجنوة خطوط بحرية منتظمة ، والسفن المصرية تقطع لجة هذه المياه ذهاباً وإياباً ، وعلم مصر الاسلامية دائم الخفق فى هذا العباب

ولقد تبوأَت مصر الاسلامية مركزاً ممتازاً فى السيادة البحرية منذ القرن الأول للهجرة ؛ وكانت السفن المصرية والبحارة المصريون عماد الفتوحات الاسلامية البحرية الأولى فى شرق البحر الأبيض : فى رودس وقبرس واقريطش ؛ وكان العرب قبل فتح مصر يخشون البحر وأهواله ، فلما فتحوا مصر ، وأدركوا أهمية مركزها البحرى ، اتخذوا من الاسكندرية قاعدة لحشد الأساطيل ، والفتوحات البحرية ؛ وكان لبحارة الاسكندرية شهرة خاصة ؛ وكانت تدرب بينهم خيرة الضباط والجنود البحرىين . ولما سار العرب لحصار قسطنطينية للمرة الرابعة سنة ٩٩٩ هـ (٧١٧ م) ،

في مدينة بروسة (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه بروسة الجميلة تشرف العين على سهلها الشجر ، تلوح سقوفها السنمة من خلال أشجارها مشورة في سفح الجبل وحضيضه . وهذا « يشيل جامع » الذي شاده السلطان العظيم « مجدّد الدولة » محمد بن بايزيد ، وهو الذي اختاره القدر ، بعد أن قسمت أخوته الخطوب ، ليجمع شتات الدولة بعد أن انقرط عقدها في موقعة انقره ، وثبوت الصاعقة رهن المحبس والتقيد (٢) وبعد أن تنازع أشبال بايزيد ميراث أبيهم ، وتماذى بهم الخلاف بضعة عشر عاماً . لقد قدر لمحمد أن يستأنف المسير في سبيل المجد الذي سلكه آباؤه . أين محمد ومجد محمد ؟ تبيحك هذه القبة الخضراء وراء المسجد . فزناك رفات السلطان وبعض أبنائه .

وانظر الى اليمين فهذا المسجد المشرف بين الأشجار على السفح ، والذي يحاول السرو الباسق حوله أن يطاول منارتيه ، هو مسجد الأمير محمد البخارى وهذه قبة ضريحه . وكم تحت هذه الأشجار من قبور عازت بقبر هذا الرجل الصالح . والله هذا الرجل العظيم ، فما ينسى له التاريخ صرامته في الحق ، ومجاهدة السلطان بالنصح واللوم .

كان السلطان بايزيد يتهم بالخر ، فلما بنى مسجده الكبير دعا الأمير البخارى ليراه ، وبينهما يقبلان النظر في بناء المسجد قال السلطان للشيخ : ما ترى في هذا المسجد العظيم ؟ قال : حسن ،

(١) كتبت في بروسة ضحى يوم الجمعة ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٩

(٢) الصاعقة (يلدرم) لقب السلطان بايزيد الأول

الاسلامية خفاقاً في ذلك الباب الذي بقيت السفن المصرية قروناً تمتلئ صهوته ، وتجووس خلاله في عزه وثقار .

إن مصر تستأنف نشاطها البحري في ميدان السلم ، لا في ميدان الحرب ؛ وليس غريباً أن يكون لها بواخر تشق الباب ، ولكن الغريب أن لا يكون لها بواخر ، وثورها محط البواخر الأجنبية من أقاصى العالم

ولكن لابد أن تقام في كل زاوية من زواياه حانة ليأتى السلطان اليه ؛ وأرى ذات اليمين جامع بايزيد تلوح قبتاه ومنارته ، وبجانبه قبة منحوتة على قبر السلطان العظيم . سطور من الخطوب والعبر لا تجرد العين منها مهرباً .

ألا ترى الى اليسار (أدلوجامع) ذا العشرين قبة ؟ هذه قبته الكبيرة التي تنفذ الأضواء منها الى الحوض الكبير ، فيسيل عليه النور في ماء النافورة المنبجس ليل نهار ؛ وكأن خيرها دعوة الى الصلاة لا تقتر ، وتسيح مع المسبحين لا يصمت . وماذا على جدران هذا المسجد من بدائع الخط وسطور الجمال ؟ لقد اقتن الكتاب على مر العصور في ترتيبها بكل آية من الخط الجميل ، وانها لحجة قائمة على الذين يريدون هجر الخط العربي الى الكتابة اللاتينية . وكلما أدت عيني في هذا المسرح الرائع عادت الى هاتين النارتين البيضاويتين المشرقتين على الجامع كأنهما شمعتان . وكل ماذن بروسة تشبه الشمعات ، وما أشبه للمآذن بالمصايح : تهدي في ظلمات الضلال ، وبحق سميت منارات .

وانظر هذا البرج البعيد على سفح الجبل في مكان من القلعة القديمة حيث قبرا الرجلين العظيمين عثمان وأورخان .

لست أرى جامع مراد الثاني وضريحه والقبور التي أطافت به وبينها قبر جم الأمير التميمس ، ولا أبصر جامع مراد خدانوندكار شهيد قوصوه ، ولا قبره مشرقاً على السهل منطوياً على سره وجلاله ، ولا ينابيع المياه الحارة والباردة منبجسة بفنائه . وما أجمل ينابيع الماء في بروسة مساجدها وطرقها تلتقي السائر حيناً توجه متدفقة بالحياة ليلاً ونهاراً .

وأين مسجد أورخان أقدم مساجد بروسة ؟ غيبه عن عيني

الجبل والشجر ، ولكنه لم ينب عن القلب وجهه المتواضع

وليت شعري ما خطب هذه الأذن الصغيرة ، والقياب

الخاملة المتثورة في المدينة ؟ بناها قوم لم يلقوا من حظ الدنيا ونباهة الذكرا ما بلغ هؤلاء . ولعلمهم كانوا أسمدحياة ، وأعظم عند الله شأناً . وإن الجاه والمجد والسلطان وما يحيط بها من ضوضاء هذه الحياة لأسوأ ما يكافأ به الرجل الطيب بخواله النفس الركية في هذا العالم . فلا تأس على ما قامت الصالحين من حلية هذه السوق .

سيكون منارة السلام العالى والعدالة الدولية ، وماذا الأمم الضعيفة والظالمة . والخلاصة أن تلك الآمال العريضة التي ساورت العالم حيناً عقب دروس الحرب الألمانية في أن تعبير الأمم بتلك العبر القاسية وبذلك الضحايا الهائلة ، وتقلب الروية والتفاهم في حسم مشاكلها ، قد أخذت في الأعوام الأخيرة تنهار تياراً ، ولا نكاد نلمس اليوم من آثارها شيئاً .

لقد اختتمت الحرب الكبرى بعدة معاهدات للصلح بين الأمم التجارية ، أعظمها وأهمها معاهدة فرساي ، التي أريد أن تكون دستوراً جامعاً لتنظيم أوروبا الجديدة سواء من الوجهة الجغرافية ، أو العسكرية أو الاقتصادية . ولكن معاهدات الصلح ، كأية معاهدة يعقدها الغالب مع المغلوب ، أو عبارة أخرى يلعبها الغالب على المغلوب ، لم تخل من المبالغة والاعتراف ، ولم تحصر على مراعاة الحقائق التاريخية الخالدة ، ولم تراعى العواطف القومية لأمة عظيمة ، وإنما روى فيها قبل كل شيء أن تحقق شهوات الظافرين ومطامعهم وخططهم في تمزيق الأمم للمغلوبية وتحطيم قواها ومواردها . ففي معاهدة فرساي أرغمت ألمانيا على الاقرار بأنها مسؤولة عن إبانة الحرب الكبرى ، وألتمت بناء على ذلك بدفع تعويضات الحرب الهائلة ، ونص على تجريدتها من السلاح ، وتدمير أسطولها ، وانتزعت منها الأتروس واللوورين لترد إلى فرنسا ، كما انتزعت سيليزيا العليا ، ودانترج ، ووادي السار ، وفرضت عليها غير ذلك فروض مرهقة كثيرة ؛ وفي معاهدة سان جرمان حلت امبراطورية النمسا والمجر القديمة لتقوم على أبقاضها عدة دول جديدة ، وانتزعت منها أراض كثيرة لتعطى لاطاليا ويوجوسلافيا ورومانيا ؛ وهكذا غيرت معاهدات الصلح حدود أوروبا القديمة ، وأثارت في كل مكان مشاكل الاقليات القومية ، وودمت بالشعوب المغلوبية إلى غمار اليأس والعاقة ، وأثارت بذلك مشاكل اجتماعية خطيرة . ولم يكن يدور بخلد الساسة الذين أملاوا هذه المعاهدات المرهقة على الأمم المغلوبية ، أنها ستغدو منذ يوم وضعها مثاراً لمسا كل لا نهاية لها ، وأنها ستنفق غير بعيد في كثير من نصوصها ، وأنها ستعتبر في النهاية أصل كل متاعب أوروبا الجديدة ، وأنها إذا استمرت على حالها فقد تثير ضرام الحرب مرة أخرى ، ولكن هذا ما وقع بالفعل ، وهذا ما نشهد اليوم ،

قصاصات الورق خمسة عشر عاماً بعد فرساي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

ما زالت الحرب الكبرى توصف بأنها أشنع وأروع مآسى التاريخ ، وما زالت مصائبها وعبرها وآثارها المخربة ماثلة في أمم وشعوب كثيرة ؛ وكنا إلى أعوام قلائل فقط نسمع أقطاب السياسة الدولية يؤكدون أن الدرس الأليم الذي ألقته الحرب على الدول والأمم العظمى لا يمكن أن يمر دون أن يحدث أثره ؛ وأن الشعوب أشد ما يكون اليوم زهداً في خوض الحرب والتعرض لويلاتها المرعبة ؛ وكنا نشهد ابتهاج الساسة والحكومات كلها عقد ميثاق جديد بعدم الاعتداء بين دولتين أو أكثر ، أو حلت مشكلة دولية صغيرة على يد عصبة الأمم بطريق التحكيم والحسنى ، أو ظهرت بوادر تقام ووثام بين خصوم الأمم ؛ كنا نشهد ذلك وأمثاله خلال الأعوام التي تلت الحرب ، فيخيل لنا أن نزعمة الحرب والاعتداء قد ضعفت ، وأن عقلية الشعوب قد تبدلت ، وأن العالم مقبل على عصر جديد ، تنبؤاً فيه قضية السلام مكانها اللائق ، وتفيض فيه الخصومات والأحقاد القومية القديمة ، ويسود الوثام والحسنى بين الشعوب .

ولكننا نشهد اليوم منظرًا آخر ؛ فإن الأفق الدولي يفيض بالتشاؤم ، وعلاقات الدول المختلفة في اضطراب دائم ، وعبارات الوعيد والحرب والانتقام تتردد في بعض الدوائر ، وأحياناً يلوح بها بعض الساسة المسئولين ؛ وهناك بعض المسائل الخطيرة التي خلفتها الحرب الكبرى مثل مشكلة نزع السلاح ، ومسألة السار ، ومسائل الحدود والاقليات ، ومسألة المستعمرات الألمانية وغيرها تزداد اليوم خطورة وتعقيداً ، بل لنا لنشهد اليوم انتحار مؤخر نزع السلاح في جنيف ، وهو ذلك المؤتمر الذي علقت عليه قبل بضعة أعوام آمال كبيرة في تخفيض التسليح والتقريب بين الأمم ، ونشهد عصبة الأمم تفقد دورها الدولية وتتحد بسرعة إلى زاوية النسيان ، وهي الصرح الذي هلت له الأمم . إنشائه ، وقيل إنه

قد عدل كثير من نصوص معاهدة الصلح في الأعوام الأخيرة ، وهي اليوم مثار حملات شديدة ، لا من ألمانيا وياق الدول التي أرهقت بنصوصها فقط ، ولكن من إيطاليا إحدى دول الحلفاء التي اشتركت في اجتناء مغام النصر ، بل أنا لنرى مستر لويد جورج أحد الأقطاب الذين وضعوا المعاهدة وأشددم وقت وضعها وطأة على ألمانيا ينادى اليوم بفداحة الشروط التي وضعت ويقترح مثل إيطاليا تعديل المعاهدة وانصاف ألمانيا ؛ وزى فرنسا التي فازت بأعظم مغام الصلح واستغلت المعاهدة الى الدرورة ، تأبى أن تنفذ مشروع نزع السلاح الذى نصت عليه المعاهدة وأدجمه الحلفاء فيها كنتيجة لنزع سلاح ألمانيا ؛ وفي أواسط أوروبا وشرقها تثار عشرات للشا كل التي ترتبت على اجحاف معاهدات الصلح بالحقوق الجغرافية والقومية لمختلف الدول . والخلاصة ان معاهدات الصلح تغدو اليوم كالثوب للمهل ، ويغدو الأفق الدولى مثقلاً بالسحب ومختلف الاحتمالات .

قبل الحرب كانت السياسة القومية المفرقة ، والسلام المدجج بالسلاح ، وانشاء المحالفات العسكرية الدفاعية والهجوئية ، وعقد المعاهدات السرية ، هي قواعد السياسة الدولية ، وهي التي توجه علائق الدول بعضها ببعض . ولم تكن الفكرة في تنظيم علائق الأمم قد تقدمت يومئذ كثيراً عما كانت عليه قبل ذلك بقرون ؛ فقد كانت هذه القواعد هي الغالبة في العلاقات الدولية في جميع عصور التاريخ الحديث منذ قامت أوروبا الحديثة على انقاض العصور الوسطى ، بل كانت هي الغالبة في العصور الوسطى والقديمة مع فروق يسيرة في علائق السلام والحرب ؛ وكانت الأطماع القومية في بسط النفوذ واجتناء مغام الاستعمار والتجارة هي التي تحرك الأمم بعضها ضد بعض ، وكانت الحرب وسيلة فريدة لتحقيق هذه المثل ؛ وقد كشفت لنا الحرب الكبرى عن المدى الذى وصلت اليه الدول العظمى ما قبل الحرب في الاعتماد على التسليح والمعاهدات السرية ، وفي التنافس على اجتناء المغام الاستعمارية واستعباد الأمم الضعيفة ؛ ثم جاءت معاهدات الصلح بعد محنة الحرب دليلاً قوياً على أن هذه النزعات الخطيرة لم تخمد بل أذكها الظفر في قفوس الأمم الغالبة ، على أن نزعة أخرى برزت من خلال هذه التمار ترى الى العمل على التقريب بين الأمم ، وتخفيف حدة الأحقاد القومية

التي أثارها الحرب ؛ وقد أريد أن تكون عصبة الأمم رمزاً لهذا الاتجاه الجديد ؛ ولكن العصبة ولدت ميتة من هذه الناحية ، واستطاعت العوامل السياسية الخفية أن تسيطر عليها منذ الساعة الأولى ، وأن توجهها حيث شاءت ، وأن تستغل نفوذها الدولى ؛ ولما أن بدت بوادر التفاهم بين ألمانيا وخصومها بالأمس ، وفازت سياسة التقرب والحسنى بعقد ميثاق لوكارنو سنة ١٩٢٥ ، هلل العالم مرة أخرى ، واستقبل هذا الميثاق الذى يجمع بين أعداء الأمم ويقضى بتأمين منطقة الرين بين فرنسا وألمانيا ، بوابل من الآمال الكبيرة ، واعتقد أن الميثاق سيكون فاتحة لظفر السلام وقضيته ؛ وساد في الأفق الدولى مدى حين نوع من التفاؤل ، وحلت أثناء ذلك عدة مشاكل دولية خطيرة بالتفاهم والحسنى ؛ ثم كانت الخطوة التالية بعقد ميثاق تحريم الحرب ، أو ميثاق كيلوج سنة ١٩٢٩ ، وهو الميثاق الشهير الذى يقضى بتحريم الحرب كأساس للسياسة القومية ووسيلة لمعالجة المشاكل الدولية ، ويقضى باستعمال التحكيم كوسيلة لحسم المنازعات بين الأمم ، وقد جمع هذا الميثاق بين جميع الدول العظمى وبين أعداء الأمم ، وانضم اليه عشرات من الدول في أوروبا وأمريكا وآسيا ، ووقته مصر أيضاً ، واعتبر يوم وضعه كأنه انجيل جديد للسلام ، واستقبل بألشيد المدجج والاعجاب في كل مكان ؛ وكان عقد ميثاق تحريم الحرب في الواقع ذروة لظفر النزعة السلمية التي حملت الساسة والأمم في ذلك الحين ؛ ولكنه كان ظفراً نظرياً فقط ؛ ولم يعض سوى عام واحد حتى ظهر أن تطبيق الميثاق مستحيل من الوجهة العملية ، وأنه ولد ميتاً كشروع عصبة الأمم .

وهكذا ظهر عبث المهود والمواثيق الدولية مرة أخرى ، وانهارت جميع الجهود التي بذلها أنصار السلام من الوجهة العملية ؛ ولم يبق أمامنا من تراث هذا الماضى القريب سوى عصبة الأمم . ومأساة العصبة معروفة ، فقد ظهر فشلها وعمقها في كل مسألة دولية خطيرة ، وكل مسألة تقتضى العدالة والانصاف ، وظهر أنها أداة مسيرة في يد الدول الاستعمارية تتجاذب في داخلها النفوذ والوحى ؛ وهذا مؤتمر نزع السلاح الذى أنشأته العصبة لتحقيق على يده برنامجها السلمى يحضر ويسير الى موت محقق . ولم يشهد العالم منذ نهاية الحرب ظرفاً أظلم فيه الأفق الدولى مثل الظرف الذى

رحلة مسيو يارتو وزير خارجيتها الى بولونيا ودول الاتفاق الصغير ،
 رحلة مسيو بوانكاريه الى روسيا قبيل الحرب الكبرى بأسابيع
 قلائل . ولقد وصفت المهادت الدولية في فائحة الحرب على
 لسان بمض الساسة الألمان بأنها قصاصات ورق والتاريخ يؤيد
 هذا القول في كثير من المواطن ؛ ولكن هذا القول اعتبر أثناء
 الحرب من الكبائر وسجل على ألمانيا ضمن الأخطاء الفادحة
 التي بنتت عليها مسئوليتها في إثارة الحرب . أما اليوم ، ونحن
 نشهد عمق اللوائيق واليهود الدولية الكثيرة التي وضعت لتسوية
 المشاكل والعلائق الدولية ؛ ونشهد انهيار عصبة الأمم ومؤتمر
 نزع السلاح ، وميثاق تحريم الحرب ، ومعاهدة واشنطن التي
 تعهدت الدول العظمى فيها بتحديد التسليح البحري ، ونقض
 معاهدات الصلح سواء من جانب الغالب أو المغلوب ، فانه يسمح
 لنا أن نكرر القول القديم بأن اليهود واللوائيق الدولية تندو
 دائما قصاصات من الورق كلما شادت السياسة والاعتبارات القومية لها

محمد عبد الله عثمانه
 المحامي

نشهد اليوم ؛ قاليبان قد انسجبت من العصبه لتطلق العنان
 لمشاريعها الاستعمارية في الصين ، وهي اليوم بتوغلها في الصين
 وتحمدها جميع الدول الأخرى تثير خطر الحرب في الشرق الأقصى ؛
 وقد انسجبت المانيا المحترية ايضاً من العصبه ، وهي اليوم تعود
 الى تسليح نفسها من جديد خصوصاً بالأمس ولا سيما فرنسا ، وتعمل
 بكل ماوسمت لأفارة الاحقاد القومية في الداخل والخارج ،
 وفرنسا من جانبها تعود بمتهى الشدة الى سياستها القومية القديمة
 وتبذل جهوداً فادحة لتقوية جيشها وتسليحاتها ، وانكثرت
 وأمريكا تسيران في نفس الطريق وتملان لتقوية التسليحات
 البحرية والجوية ؛ وايطاليا تقوى جيشها وتسليحاتها منذ أعوام
 وتلوح من آن لآخر بالحرب ، ولا تحنى مطامعها الاستعمارية في
 آسيا وأفريقية ، وروسيا السوفيتية تقف لليابان بالرصاد في
 الشرق الأقصى ، وتركيا تطالب بالعود الى تحصين الدردنيل بمد
 أن قضت معاهدة لوزان بنزع سلاحه ؛ وتجري في القارة من
 أقصاها الى أقصاها حركة ازعاج وتوجس ، وتجري مختلف
 المفاوضات بين دول البلقان وأوروبا الوسطى ودول البلطيق ،
 وتعقد اللوائيق هنا وهناك لتنظيم الجباه السياسية والمسكرية وأحكام
 المحالقات ، وتتنافس دول القارة العظمى أعني فرنسا وألمانيا
 وايطاليا في تنظيم هذه الحركات وتسييرها .

والواقع أن التاريخ القريب يتكرر ويتصل ؛ ومايجرى اليوم في
 العالم من الاحداث السياسية والنزاعات الدولية يشبه من وجوه
 كثيرة ما كان يجري قبل الحرب بأعوام قلائل فقط ، من تمايق
 الدول العظمى في التسليح والاستعداد الحربي ، ومن تنافسها
 وتنازعها في اجتهاد النمام الاستعمارية والتجارية ، ومن توتر
 اعصاب الحكومات والساسة ، ومن العمل على اذكاء الاحقاد
 القومية ؛ وقد ثارت في الأعوام القلائل التي سبقت الحرب بعض
 مشاكل دولية خطيرة كانت مقدمة لاقتضاض العاصفة ؛ والأفق
 الدولي متقل اليوم بكثير من هذه المشاكل ؛ ويكفي أن مسألة
 كسالة السارق قد تضرم الشرارة الأولى ، كما أن مسألة أغاير كادت
 قبل الحرب بعامين تضرم هذه الشرارة ؛ ونستطيع أن نشبه رحلة
 مسيو هريو رئيس وزارة فرنسا الأسبق الى روسيا منذ عام ، أو

تسليح خضير

٥٠٦٥٠
 داليمون



٨٠٥٠
 صفر ورق
 ١٠٥٠

بريشة ذهب عيار ١٤
 مضمون ٣ سنوات

لستعمله الكي كومان الشرقية
 مكتبة ورطبة خضير بشاع عبد العزيز بصر

الأثر اليوناني في الأدب العربي

للأستاذ فخري أبو السعود

كانت الثقافة اليونانية خلاصة ثقافات البحر الأبيض القديمة: لأنها إلى جانب ما استوعبته من الحضارات الشرقية تمثل نتاج العقل اليوناني الذي كان أخصب عقل ظهر في العصر القديم . فلما مضى ذلك العصر ودالت دولة اليونان وكان العصر الوسيط كان العرب هم السابقين إلى التعرف بالثقافة اليونانية فأخذوا من علوم اليونان وفلسفتهم ، ثم تعرف الأوربيون بدهم تلك الثقافة في عهد النهضة ، وأوسعوا علوم اليونان وفتنهم دراسة وتقالا ومحاكاة . فأغنوا بذلك علومهم وفتنهم الناشئة وشادوا على ثقافة اليونان صرح حضارتهم الحديثة .

يبد أن الذي يسترعى النظر أن العرب حين اتصلوا بثقافة اليونان اقتصر على اقتباس بعض علومهم وفلسفتهم دون الآداب والفنون ، فدرسوا أرسطو وأفلاطون ، وعرفوا أبقراط وقيثاغورس ، ولكنهم أهملوا هوميروس وسوفوكليس وأوريديس ، على حين لم يفرق الأوربيون بين ناحية من نواحي الحضارة اليونانية وناحية أخرى ، بل أكبوا على دراسة الجميع ، وبينما تقلمت علومهم على من المصنوع عن علوم اليونان أشواطاً بعيدة واستغنت عن معينها ظلت الآداب والفنون اليونانية مرجحاً دائماً للآداب والفنون الأوربية ومهيبت وحى لا يفتى ، ولم ينفك كتاب الغرب وشعراؤه إلى اليوم عن تجسيد الثقافة اليونانية والحث على الرجوع إليها دائماً ، فما السر في اختلاف موقف العرب عن موقف الأوربيين حيال تراث اليونان ؟

السر راجع إلى سليقة العرب المطبوعة على البيان ، للفظورة على فصاحة اللسان ، فإن العرب نظراً لبيشهم البدوية وحياتهم المتقلبة لم يكن لهم سوى اللسان أداة للتعبير عن شعورهم الفياض ، فلم يكن التصوير ولا النحت ولا غيرها من الفنون ليزكو في بيئتهم تلك ، ومن ثم تأصلت في العرب سجية البلاغة وارتقت بينهم مرتبة البقاء وتوطدت لنتهم ونضج أدبهم وهم على بداوتهم وقلة حظهم من الحضارة ، وكان لهم يبعصبيهم ولسنهم اعتداد شديد ، فلما

نهضت دولهم بظهور الاسلام ودخلت الأم في طاعتهم ودينهم أفواجا ازدادوا اعتداداً بربيتهم ولسنهم وشعرهم وقرآنهم المبين ، فلم يكن في نفوسهم حافظ إلى الاطلاع على آداب غيرهم ولا لليسهم رغبة في التلمذ لسواهم ، بل كانوا يرون أنفسهم هم الأجدد أن يجذبوا ويؤخذ عنهم ، ولقد أخذ كثير من الأم للفتوحة لنتهم واصطنعوا أدبهم بالفعل ، وأصبح الناشئون في الأدب من أبناء الأجيال التالية لا يرون أن شيئاً يوصل إلى نيل الفصاحة والحكمة وحثق الأدب وراء دراسة القرآن واستيعاب شعر قول للتقدمين ، وإنما كان العرب أميل إلى الاعتراف بالتصور واظهار الرغبة في الأمور التي لم يكن لهم فيها إلى ذلك الوقت باع ولا يد كالعلم والفلسفة ، فلم يروا ضيراً في أخذها على أساتذة اليونان .

ولم يقتصر أثر اعتداد العرب بأدبهم وشعرهم على ذود الأدب اليوناني عنهم ، بل زاد عنهم غير الأدب من الفنون : فقلد اطلعوا في أطراف دولتهم وبلا دجيراتهم على ما كان لدى اليونان والرومان والفرس والمصريين من تصوير ونحت ، فما خطر لهم أن يحاكوا شيئاً من ذلك ، وكان كل ما يساور شاعرهم حين يشاهد أثرًا من هاتيك الآثار أنت يتمثل بطلس الدهر وطول الفناء وسقوط الجبابرة فيقول :

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع ؟ تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويتركها الفناء فتنبع وما ذاك إلا لانصراف كل قوى العرب الفنية إلى ضرب واحد من الفنون هو الأدب واستقراؤها فيه . فهي لا تحاول وسيلة أخرى سوله للتعبير عن نفسها ، ومن ثم ظل العرب طوال عصورهم لا يعرفون من الفنون سوى الأدب والموسيقى المعتمدة عليه المرتبطة به ارتباطاً وثيقاً ، فلا تصوير ولا نحت ولا تمثيل ، اللهم الا ذلك الضرب الوحيد من الزخرفة ذات الأغراض العملية المحضة ، ومن الخطأ نسبة انعدام تلك الفنون بين العرب إلى الدين : فقضلا عن أن الدين لا يثاني شيئاً منها فإنه لم يجعل دون استمتاع العرب بالموسيقى وغيرها حين أرادوا .

فالعرب إذ أن وصلوا بالثقافة اليونانية في غير الوقت الملائم : في وقت متأخر ، كان أدبهم فيه قد نضج وقوى ، وصار لهم من الاعتداد بنفسه ما يثنيه عن التلمذ لغيره ، أما الآداب الغربية ففرقت تلك

انما يرثها المؤمنون احلاف الأمل

للأستاذ أديب عباسي

الحياة كالسفينة : قلعها الأمل ، ودقتها السكر ، والرابط لأجزائها واللام لشمعها هو الأيمان . والعقل يرسم الخططة وبين الاتجاه ، ويدل على الطريق . والأمل شرع الحياة التي يدفعا في أوقيانوس هذا العالم المضطرب وفوق لجة المصطخب ، والتي يتلقى القوى من أين جاءه وأنى واجبه ليحليها في النهاية قوى للدفن والانتظام في السير . أما الأيمان فهو هذا الذي يشد أضلاعها ويوثق أجزاءها ، فلا يوهنها العاصف الشديد ولا يمزقها ، أبدي . وهو الذي يعدل انحناؤها ويقوم استواءها ، فلا توهيها الصدفة ولا تزعرعها الزحمة . وبالقدر الذي تظفر به الحياة من توازن واتساف بين هذه القوى الثلاث يكون الخير والنجاح ، ويقتدر الذي تتنافر وتضطرب يكون الفشل والخيبة . انظر الى المتشائمين الصارخين في وجه الحياة الدافعين لها في الصدر، ترم من أولئك النفر الذين كبرت عقولهم ونضبت آمالهم وتزعزع إيمانهم ، فأضوا كالتقارب قد منحرق قلعه ، وحطمت دفته . يقابلهم التهورون الذين لا يزلون للعقل على حكم ، ولا للمنطق على قاعدة : تترام يسرون في هذه الحياة على غير توجيه يوجهونه ، أو هدى يتوخونه ، فلا يلبثون أن يرتطموا بصخورها الناشزة ، فتتحطم آمالهم وتبخر الحقيقة أمانهم كما تبخر الشمس أحلام النائم .

ذهنه الى بطش الدهر بالجبارين الذين أعلوها ولم يتنبأ لها بالحق بهم ، بل حيا فيها الفن وعظم قدرة الانسان وقال :
أهرامهم تلك حى الفن متخذاً من الصخور بروجا فوق كيوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ما يأخذ النمل من أركان شهلان
فما ذاك إلا لأننا قد تأثرنا بتلك الروح اليونانية التي تعظم الفن الخالص في مختلف صورته وتجدد قدرة الانسان في مصارعها للفتاء ، تلك الروح التي كان أغفلها أجدادنا العرب .
فخرى أبو السعود

الثقافة في عهد طفولتها ونشأتها، وهي لما نزل عاجزة تعترف بسجرتها وتتلطف الى المرفة حيث وجدتها ، فلم تتردد في الانتفاع بتراث اليونان الى ابد حد ، فأثرت أيما إثراء بما أخذت عن اليونان من المواضيع والأشكال الأدبية ، ومد الأدب اليونانى أمامها آفاق التفكير الواسعة وآماد التل العليا وصور الجمال المختلفة ، ووجدت في تاريخ اليونان وأديبهم وأساطيرهم ومنتجات فنونهم من صور وعمايل وآثار منادح للكتابة والدرس والنظم ، ومنابع للروح لا تنضب .

فلا غرو أن طفرت تلك الآداب الغربية التي لم تسكد في عهد النهضة تكون شيئاً مذكوراً ، والتي كانت لغاتها ذاتها ما تزال في طور التسكون ، فاذا هي بعد قرون ثلاثة أو أربعة تسبق الأدب العربى وهو أعرق منها محتداً وتفوقه اتساع آفاق وتعدد مواضيع ، لأن الأدب العربى الذي لم يكد يستفيد بأدب أمة أخرى ظل في مكانه جامداً يكرر نفسه ويميد على نفسه الأبواب عينها التي جال فيها المتقدمون من غر ورناء ومدح وهجاء ، حتى إذا كان العصر الحديث اذا هو يقف من الآداب الغربية موقف التلذذ والتلقن .

ان تمكن ملكة البيان من العرب — مما جعلهم لا يدبثون الا لئبي يأتهم بكتاب معجز ، وجعل خلفاءهم يتخذون وزراءهم من أمة البيان — واعتدادهم بأديبهم واستفراق مجهودهم الفنى فيه وحده ، هذا كله في مجموعه كان عاملاً شامل الأثر بعيد في تاريخهم وأديبهم ، ولقد كان أثره فيما يتعلق بالتراث اليونانى بليغ الضرر ، فخر العرب خسارة كبيرة باغفال الأدب اليونانى الحى على والى المصور ، الشديد الايحاء القوى التأثير ، الذى كان بلا ريب أغنى من أديبهم . ولو لقع به الأدب العربى لاتسعت جوانبه وانصرف عن تلك الأغراض العلمية التي احتبس فيها الى عوالم الفن الخالص وتثير مجرى تاريخه وأفاد العرب بذلك أضعاف ما أفادتهم دراسة انفسفة اليونانية .

ونحن اليوم بدراسة الآداب الغربية والأخذ عنها بطريق غير مباشرة عن تلك الثقافة اليونانية ، وندخل في أدبنا ذلك العنصر اليونانى الذى لا بد منه لكل أدب يريد له مكاناً بين الآداب العالية ، واذا وقف شاعرنا المصرى أمام الأهرام فلم ينصرف

الحياة هو الدوامة التي ما تزال تدافع فعل الجاذبية وتقاومه بقوة الاندفاع وسرعة الحركة ، ولكنها إذ تبطئ وتكف عن الحركة تسقط بعد إذ كانت مستوية على قدم قائمة على ساق .

وتفرض عليك معركة الحياة أيضاً أن يكون لك هدف تسي إليه ، لا هو بالوضع الذي لا يستثير كل ما في النفس من استعداد ولا يستغفر كل ما فيها من قوة ، ولا هو بالبعد المنبت الذي تتقطع دونه جميع الأسباب وتفشل جميع الجهود .

ثم ليكن هدفك كالأفق المريض يتجدد على السير ويتسع مع الحياة ويفرى على البذل . ولا يهمنك بعدها أن تجت أم فشلت . فالفشل ليس جرماً ، إنما الحرم هي الآمال المحدودة والأهداف الوضيعة . ولا تبطن من هو أحط منك هدفاً وأسد حلاً . فقد تكون أنت بجرماتك وسمو هدفك أعظم منه في نجاحه وحطة هدفه الذي إذا وصل إليه لا يلاق وراءه إلا ظلام القبر وقيد الفناء وأنت فوق هذا وذلك مكتسب من فشلك الآتي منعة ضد مكروب اليأس الذي يقتل النفوس ويمصف بالرجولة .

وأخيراً — الإيمان — ماذا تقول فيه ؟

تقول موجزين : إنه صفة العطاء الغالبة ، ومزيتهم التي يمتازون بها عن الأوساط ، ومن هم دون الأوساط . فيوليوس قيصر كان كبير الإيمان حينما قطع نهر الرويكون واستولى على رومة بشراذم جنوده . وقد كان ضعيف الإيمان في الوصول إلى تاج الملك فذبح . وكولب كان عظيم الإيمان ، لذلك لم يفتر في عضده كل ما قام في سبيله من صعاب ، ولم يثنه أن يجد نصف العالم الذي كان مفقوداً . ونابليون كان له نجم يراه في النهار ويسير بهديه . والمسيح كان كبير الإيمان ، فكان يشق المفلوجين ويقم المقعدين . والنبي العربي كان وطيد الإيمان ، فعمل لقومه في حقة قصيرة من الزمن ما يُعجز أجيالاً ويفنى آجالاً .

ومن صفاته أن اللؤم يكون سريع العودة إلى ما اختطه لنفسه من طريق ، ورسمه لها من مسير ، بعد أن تحرفه عن ذلك رجات الحياة العنيفة وحوادثها الزاخرة . شأنه شأن الإبرة المغنطيسية — مهما بلغت الحياة في هزه ، لا يلبث أن يعود سيرته الأولى ويتجه اتجاهه الأول . ذلك أن ثمة قوة حية مشبوبة فيه تتجاذب وقطب

هذه هي صلة الأمل والإيمان بالفكر . وإذا فإذا نحن ذكرنا أحدهما بعدئذ قائماً نذكره ونحن نضم وتقدر الفكر . ذلك أن الأمل دون الفكر يضحى تهوراً ورعونة ، والإيمان بلا عقل ملهم يمسى عناداً واشتطاطاً .

وماذا تقول بعد هذا الاجمال في دعائى الحياة هاتين ؟

تقول إن الأمل هو القوة الدافعة الكامنة في صدور الشباب ، وهو النور الذي يبدد ظلام النفوس ويرزق حلكتها عند ما تتوالى التكببات وتعاقب المصائب . هو ذلك المبود الذي نصب له الرومان تمثالاً يجنون حواليه ويخشعون . وهو الاله الذي هجر رومة عند ما عكفت على المادة تبعدها فسقطت سقوط شمشون في يد الشهوة . وهو الذي وقف في مضيق ترموبيل يهزأ بالقوى المادية ويفخر بالتضحية الخالدة . هو ذلك الفيض العلوى الذي كان يخوض صفوف المسلمين مرهداً : كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله ، والله مع الصابرين ، فكان ملء الصدور في بدر ، وكان ملء الصدور في اليرموق ، وكان ملء الصدور في القادسية . هو الذي يحيل الشيخ الهرم شاباً إذا حل في صدره ، والشاب شيخاً إذا زايله . وإن شيخاً كبرت عدته من الأمل لا تنصفه إذ تحشره في زمرة الشيوخ وإن بلغ عتياً . وإن شاباً هزل أمله وقتر عمله هو والشيخ الفاني سواء . فالفتوة والشباب ليسا في السنين ، إنما هما في القوى الروحية السليمة . والمهزومون في معركة الحياة الهاربون من وجهها هم اللذيل . هذا شيخ مرفوع الرأس مستود الظهر ، قوى الأمل كبير الثقة بالنفس ، يسير بقية الطريق في غير التواء ، فيصل آخر مرحلة من مراحل الجهاد لا هو بل خاطر المزعجة ولا بالخالي من الزاد . وذلك شاب (بحسب السنين فقط) خاوى الأمل قاتر الهمة ، يذب كاتدب السلحفاة . . . أعياه نيل الشمس واصطياد النجوم ، فلم يمد يداً إلى ما هو في متناول اليد ، وتملكه اليأس ، وبث له من رقب الخلية نطاق ، فلم يخفل كثيراً بالجنى القريب ، فقانه كثير من الجواهر والآلات التي يمر بها من الجانب إذا فمركة الحياة الصارمة تتطلب منك يا صاح الأمل القوى تسنده المزيمة المسددة ، وتفرض عليك الاندفاع والسعى ، ينير سبيلها الاستبشار والثقة . وفي الوقت الذي يكف المرء فيه عن الحركة والنشوب يدخل في ثبث الأموات الفانين . إن غير ما تشبه به

ابن الهائم المصري المقدسي

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

متواضعة لهذا العالم من ناحية مآثره في العلوم الرياضية آمين أن
توفق في المستقبل للكتابة عنه بصورة أوسع وأوفى للمرام .

ولنرجع الى صاحب الترجمة فنقول ان اسمه هو : شرف الدين
ابو العباس (احمد بن محمد عماد) ابن الهائم المصري المقدسي ،
وقد اكتسب نسبه الى مصر من ولادته فيها ، وكان اذ ذلك في
المتصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد حوالي سنة ١٣٥٢م -
٧٥٣ هـ أو ٧٥٦ هـ ، وعرف بالمقدسي لاشتغاله في القدس ووفاته
فيها . وكانت الوفاة في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد حوالي
سنة ١٤١٢م - ٨١٥ هـ . وقد وجدت ثلاثة تواريخ وفاة لصاحب
الترجمة في كتاب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ،
ففي ص ٤١٨ من الجزء الأول يقول ان ابن الهائم توفى في
سنة ٩٨٧ هـ ، وفي الجزء الثاني في ص ٣٦٢ نجد ان الوفاة كانت
في سنة ٣٨٧ هـ ، وفي ص ٤١٧ من الجزء نفسه نجد ان تاريخ
الوفاة كان في ٨١٥ هـ . بينما المصادر الافرنجية ككتاب تاريخ
الرياضيات لسمث ، والتركية ككتاب آثار باقية ، وبعض العربية
ككتاب الأنس الجليل كل هذه تقول وتتفق على ان الوفاة حصلت
سنة ٨١٥ هـ - وهذا التاريخ (على ما أرجح) هو الصحيح .
وقد يكون الاختلاف في الوفاة الموجود في كشف الظنون ناتجاً
إما عن خلط في الأسماء أو عن أغلاط مطبعية . والله أعلم .

وابن الهائم كما قلنا من الذين لم يعطهم التاريخ بعد حقهم من
البحث والتنقيب ، وقد يكون في كتاب الأنس الجليل عن حياته
مالا نجد في غيره من الكتب . ومن الكتاب المذكور يفهم
ان ابن الهائم اشتغل في القاهرة ، وانه لما ولي القمعي تدريس
الصلاحية أحضره الى القدس ، واستنابه في التدريس ، وأصبح
من شيوخ القادسة . واستمر في وظيفته التدريسية الى أن جاء
الشيخ شمس الدين الهروي من هراة وكان حنفياً قرأى هذه الوظيفة
فسمى اليها ، واستطاع أن يأخذها من ابن الهائم . ولكن هذا لم
يرق للأخير فسمى جهده لاستردادها ، واستطاع أن يجعل ولاية
الأمر يقسمون هذه الوظيفة بينهما . ونشأ لابن الهائم ولد نجيب
اسمه محب الدين ، كان نادرة دهره ، ونابهة زمانه ، ولكن المنية
عاجلته فلم يش طويلاً ومات صغيراً سنة ٨٠٠ هـ . ومخاض
ابن الهائم كثيرة أهمها تمسكه الشديد بالدين ، وكان دائماً

كنت في القدس مع بعض الاخوان في زياره انارض العربي
الثاني ، وبينما نحن على مقربة من مقبرة مأمّن الله سمعت أحدهم
يقول : ان هذه المقبرة تضم عدداً كبيراً من خول العلماء ، وكبار
الفقهاء ورجال الدين ، ممن ظهوروا في أيام الحروب الصليبية وقبلها .
وقد سرد بعضهم أسماء بعض هؤلاء العلماء فلم يلفت نظري إلا اسم
ابن الهائم ، إذ تذكرت ان هذا الاسم مر بي أثناء مطالعتي لبعض
الكتب الانكليزية التي تبحث في تاريخ الرياضيات ، وأصبح لدى
رغبة شديدة في الكتابة عنه . رجعت الى مكتبتني لأبحث عنه فوجدت
ان ابن الهائم من الذين لم يعطوا حقهم من البحث والاستقصاء ،
وحياته لا تزال غامضة في تاريخ المدينة الاسلامية ، وهي في أشد
الحاجة الى من يتعهد بجلاها ، ويقضي على غموضها . بحثت
في الكتب الصغرى وغير الصغرى ، قديمها وحديثها ، من عربية
وتركية وانكليزية فلم أجد إلا جملاً هنا وهناك متناثرة لا يفهم منها
إلا تاريخ الولادة والوفاة ، وأشياء أخرى من الصعب جمعها
وتكوين جملة تفي بالغرض وتشفي غلة الباحث للتعقب . على
كل ، وبعد بحث في كتب متنوعة أمكننا أن نحصل على ترجمة

الحياة العام ، قطب التقدم والرق الذي تسيّر نحوه جميع الأحياء
عامدة ، لا تلف ولا تدور إلا مرغمة .

ومن صفات الايمان أيضاً أنه لا يحترق الأحلام ، لأنها عنده
أساس الحقائق وعدة الحياة . لهذا فهو رقيق جد الرفق بالصغار
وما يحملون ، مؤمن جد الايمان بما يكمن فيهم من قوى غير
محدودة ، واستمداد غير مُستغل ، واندفاع غير مكبوت ، وتقاء
غير مرئق . وهو يقيم الدليل بعد الدليل على صدق متجهه بما
أثبت التاريخ والحوادث من أن أحلام الطفولة وعبث الصبي كانت
في غالبية العطاء حقائق الرجولة وعدتها الى الحياة .

أريب عباسي

شرق الأردن

لا يترك فرصة دون وعظ أو ارشاد ، فتراه في أكثر الأوقات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وصار له مقام عند العامة وكان لكلامه وقع في القلوب ، وتأثير على النفوس .

« وتوفي ابن الهائم في القدس الشريف في شهر رجب سنة ٨١٥ هـ ودفن في مقبرة مأسن الله وقبره مشهور »^(١) وقد ذهبت بنفسى الى القدس لأرى القبر فلم أتمكن من العثور عليه بسبب أعمال الحفر التي قامت مؤخراً في المقبرة ، واتصلت بالعارفين فقالوا ان قبر ابن الهائم كان يقع في الجهة الغربية على بعد بضعة أمتار من البركة وكان القبر مبنياً على شكل غطاء التابوت .

وابن الهائم من الذين درسوا على أبي الحسن على بن عبد الصمد الجلابرى المالكي ومن الذين ألفوا في الفرائض والحساب والجبر وله في ذلك كتب ورسائل قيمة منها :

كتاب شرح الأرجوزة لابن الياصمين في الجبر والمقابلة ، ألفه في مكة سنة ٧٨٩ هـ^(٢) . وهذه الأرجوزة لدينا وقد أقتنا من الرطنى العامل الأديب السيد عبدالله بن كنون من أعيان طبعة المغرب ، وسيأتى الكلام عنها عند البحث في ابن الياصمين . وله أيضاً رسالة النعم في الحساب ، ولدينا نسخة منها وقد نسخناها عن مخطوطة قديمة موجودة في المكتبة الخالدية بالقدس . ويقول المؤلف (ابن الهائم) في أولها : « . . . وبعد فهذه لمع يسيرة من علم الحساب نافعة ان شاء الله تعالى . . . » وهذه الرسالة تتكون من مقدمة وثلاثة أبواب يبحث الباب الأول في ضرب الصحيح في الصحيح ويتكون من أربعة فصول ، الفصل الرابع منه طريف جداً ويحتوى على كثير من الملح الرياضية في الاختصار وفي ضرب أعداد خاصة في أعداد أخرى بدون اجراء عملية الضرب ، ولا بأس من اعطاء مثال (من النسخة) على ذلك ، ففي الفصل المذكور يقول المؤلف « . . . وللضرب وجوه كثيرة وملح اختصارية فمنها : . . . الى أن يقول . . . ومنها أن كل عدد يضرب في خمسة عشر أو مائة وخمسين أو في ألف وخمسمائة فيزداد عليه مثل نصفه

ويبسط المجتمع (أى يضرب حاصل الجمع) في الأول عشرات وفي الثانى مئات وفي الثالث أوقاً ، فلو قيل اضرب أربعة وعشرين في خمسة عشر فزد على الأربعة والعشرين مثل نصفها وابسط المجتمع وهو ستة وثلاثون عشرات فالجواب ثلاثمائة وستون ، ولو قيل اضربها في مائة وخمسين فابسط الستة والثلاثين مئات ، فالجواب ثلاثة آلاف وستمائة . . . » ويبحث الباب الثانى في القسمة ويتكون من مقدمة وفصل ، والمقدمة تبحث في قسمة الكثير على القليل والفصل في قسمة القليل على الكثير ، وأما الباب الثالث فيبحث في الكسور ويتكون من مقدمة وأربعة فصول . وهذه الرسالة شرح لمحمد بن محمد بن احمد سبط الماردينى^(١) وله أيضاً كتاب « حارى » في الحساب وكتاب العمرة في الحساب الهوائى^(٢) ، ويتكون من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة ، وله مختصر اسمه الوسيلة وقدرأ به أيضاً على مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة . وقد قال الماردينى في آخر شرح اللع « ومن أراد الزيادة فعليه بالوسيلة لأنها من أحسن المصنفات في هذا الفن . . . » وعليها أيضاً حاشية لمحمد بن أبى بكر الأزهرى ، ولها (أى الوسيلة) شرح للماردينى يسمى ارشاد الطلاب الى وسيلة الحساب^(٣) . ولابن الهائم كتاب مرشد الطالب الى أسنى المطالب ويبحث في الحساب ، ويتكون من مقدمة وخاتمة^(٤) . وقد عمل له مختصراً سماه كتاب الزهة . ومن مؤلفاته كتاب غاية السؤال في الاقرار في الدين المجهول ، ويحتوى على أمثلة لحلول مسائل مختلفة في الحساب ، والجبر ، وكتاب المقنع وهو قصيدة تتكون من ٥٢ بيتاً من الشعر في الجبر ، وقد شرحها في رسالة خاصة ، وله رسالة التحفة القدسية ، وهى منظومة أيضاً في حساب الفرائض^(٥) . وكتاب العمرة في الحساب وقد شرحه الماردينى واختصره ابن الهائم برسالة سماها استبان الفتاح^(٦) .

قزرى حافظ طوقاه

نابلس

- (١) كشف الظنون — ج ٢ ص ٣٦٢ .
 (٢) « — ج ٢ ص ٤٦٨ .
 (٣) « — ج ٢ ص ٤٣٤ — ٤٦٨ .
 (٤) « — ج ٢ ص ٤١٧ .
 (٥) صالح زكى — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .
 (٦) « — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .

(١) بحير الدين الخليلى — كتاب الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ص ٤٥٥ — ٤٥٦ .
 (٢) كتاب كشف الظنون ج ١ ص ٨٢ .

والأماكن العامة كالكنايس والمدارس والمستشفيات في قرى أوروبا تشهد بأن أهل تلك البلاد يحرصون على هذا المنى الانساني وعلى رقيه الذوق الفني في نفوس أهل الريف حرصاً كبيراً ، ثم ان الشباب في أوروبا يشعروا بالواجب عليه ازاء أهل الريف فينظم نفسه جماعات تجول في مختلف أنحاء الدولة التي ينتمي اليها أثناء العطلة الدراسية لتستفيد هذه الجماعات معرفة بلادها معرفة دقيقة ، وليستفيد أهل الريف من اختلاط الشباب بهم فنياً وفتيات اتصالاً بالروح العالمية ، والحياة الثقافية ، يربط ما بين الريف والمواصم بخير الروابط .

وليس من ذلك شيء في مصر على الاطلاق ، بل ان الشروعات الحيوية الأولية ، كتعميم المياه الصالحة للشرب ، وبكفل الأسمدة بعيدة عن القرى ، وكتعميم التعليم الأولي الاجباري ، وما الى ذلك من مثله من أمور تعتبر في الدرجة الأولى بالنسبة للحياة الانسانية ما يزال مهملًا في مصر ، بل ما يزال منظوراً اليه على انه أدنى الى الكليات ، وتلك نظرة خاطئة جد الخطأ ، فاذا أريد بمصر أن تصل الى نشاط صحيح في حيويتها . فالخطوة الأولى يجب ألا تكون شق الشوارع واقامة المباني الفخمة في المدن ، بل يجب أن تكون العناية بأحوال الريف عناية صحيحة ، والعناية في المدن بالتعليم الجاسي الصحيح قبل كل شيء .

فلتعمل جمعية مشروع القرى في حدود البرنامج الذي رسمت لنفسها تلقى من غير ريب تشجيعاً صادقاً من كل من ينههم الأمر ومن كل من يدركون مصالح بلادهم الحقيقية .

مشروع القرى وجوب العناية بالقرية المصرية

للدكتور محمد حسين هيكل بك

لا أظن شيئاً مهملًا في مصر اهل القرية المصرية واهل أهلها . فبينما تفقد الوزارات المتتابعة على تجميل المدن الأموال الطائلة ، وبينما تقوم في سبيل شق الشوارع واقامة المآثر الضخمة فيها ، اذا بها ترضى على القرى بكل اصلاح أو تنظيم ، ولقد لاحظ أهل الريف هذا منذ زمان بعيد ، فقامت ضجة كبيرة في البرلمان المصري سنة ١٩٢٦ حين أريد توسيع شارع الهرم ، ونال نواب الريف أغلبية في مجلس النواب لم يتيسر التغلب عليها إلا باجتماع مجلسي البرلمان في هيئة مؤتمر ، ومع أن حاجات الريف الى الاصلاح كثيرة جداً سواء من الجهة الصحية ، أو من الجهة التعليمية ، فان ما يندل في سبيله من أموال وجهود يسير على سنة التطور البطيء جداً كأنما يجهل الذين يتبعون هذه السياسة أن ريف مصر محتوى عوامل النشاط والقوى الحقيقية الحيوية في البلاد ، وانه اذا حوربت الأمراض التي تفتك بأهل الريف ، واذا نشر التعليم الأولي والابتدائي في ربوعه زاد الانتاج الاقتصادي ، والانتاج الفكري ، بما قدره بعض الأطباء ثلاثين في المائة من مجموع الانتاج الحالي !!!

لذلك كان العمل الذي تقوم به جمعية مشروع القرى جديراً با كبير التشجيع من كل انسان ، وكان ما يندل الشباب من جهود في هذا الشأن حرياً بأن يلقى التشجيع والمعونة من جانب رجال هذه الأمة الرسميين وغير الرسميين ، وبحسب الذين زاروا أوروبا جميعاً ولم يكتفوا بالجلوس على مقاهي المدن الكبرى كباريس ولندن وكلفوا أنفسهم مؤونة التغفل في أرياف فرنسا وانجلترا والمانيا وغيرها من الدول الأوروبية ، وقارنوا بين حياة ريف أوروبا وحياة ريف مصر أشد شعوراً باستحقاق جمعية مشروع القرى لكل تشجيع ، ويحسون في قرارة نفوسهم بشيء كثير من الأسف بل الألم لهذه المقارنة . فالنزل القروي في أوروبا يحتوي من معاني الحياة الانسانية ما لا نجد له قط نظيراً في أحسن منازل القرى المصرية ،

أبو على عامل أرتست

مجموعة قصص مصرية

تأليف

الأستاذ محمود محمود

يطلب من مكاتب القطر الشهيرة وثمنه خمسة قروش

خلاف أجرة البريد

مشروع القري

الإصلاح الاجتماعي في مصر

ونصيب طلبة الجامعة والمراس العالمة منه

للأستاذ عبد الله أمين

عضو مجلس إدارة المشروع

قد يخيل إلى التسجل في الحكم على الأمور أن الشعب المصري قد خطا خطوات واسعة في سبيل التقدم والإصلاح الاجتماعي، وذلك حين يرى ما في أمهات المدن المصرية لاسيما القاهرة الأم الكبرى، عروس الشرق، من بيان شاهقة فخمة، قد بنيت على أحدث مثال، وأثبت بأغزر الأثاث، ومن أزياء حديثة يختال في حللها القشبية شبانها وشواها، رجالها ونساؤها؛ ومن متاجر ودور للملاهي يمرض فيها من السماع والتناظر ما يمرض في متاجر أوروبا وملاهيها؛ ومن مصارف وبيوت مالية ومدارس ومسبشقيات وأندية وأزمال، وغير ذلك من مظاهر المدنية الغربية الحديثة.

أما التأمل البصير فلا يرى في شيء من هذه المظاهر دليلاً على شيء ذي خطر من التقدم والإصلاح الاجتماعي في مصر، لأنها كلها مظاهر مستعارة من الغرب لا ترتكز في هذه البلاد على شيء من عناصر المدنية التي ترتكز عليها في الغرب، وهي العلوم والفنون والصناعات والدق المصرية والعادات والتقاليد والنظم الموروثة، ولذلك تمد في مصر مظاهر كاذبة. وقد تناور على استمارتها ثلاث جماعات، هي: (١) التزلاء الأجانب (٢) الوطنيون المفتونون بهم، الناسجون على منوالهم، وما أكثر هؤلاء وهؤلاء في أمهات المدن المصرية، لاسيما مصر والاسكندرية (٣) والحكومات المصرية للتباسة. وليس هؤلاء جميعاً هم الشعب المصري.

إنما الشعب المصري هو ملايين الفلاحين الكثرية القيمة في القري المصرية. وإذا جردت أمهات المدن المصرية من مظاهر المدنية الكاذبة أصبحت كالقري، المصرية شبراً بشبر وذراعاً بذراع. أي، شيء في القري المصرية لا يحتاج إلى إصلاح؟ أم مظاهر المدنية أم العباد الذي لا تقوم إلا عليه وهو عناصر المدنية؟ أم أساس هذه العناصر؟

إن كل شيء في القري المصرية بل في مصر كلها أم المدنية القديمة والحديثة ومطعم أنظار الغرب، ومعقد آمال الشرق، فقير كل الفقر إلى الإصلاح، فالأخلاق والعقائد وهي الأساس الذي تقوم عليه عناصر المدنية، والنوال الذي تنسج عليه برودها قد أصيبت بالخلل والفساد، فهي فقيرة إلى الإصلاح. والعلوم والفنون والصناعات والآداب والعادات والتقاليد والدق واللغة والنظم المنزلية والمدرسية والاجتماعية والحكومية وغيرها من عناصر الحضارة لم يبق من محاسنها شيء، فهي أشد فقراً إلى الإصلاح. والأزياء والمسكن والأثاث والتاجر والمصانع والمزارع والطرق والمتنزهات والأندية والمدارس وغيرها من مظاهر المدنية أصبحت ممقوتة بغيضة إلى النفوس لبقاء أكثرها على ما كان عليه منذ آلاف السنين، ولانشاء أقلها على مثال غربي لا يلائم أخلاقنا وعقائدنا، فلا بد من إصلاحها وإصلاح كل شيء إصلاحاً تختدى فيه مثال الأمور الصالحة في الغرب، ثم نصنعها بصيغتنا ونجعلها ملائمة لأخلاقنا وعقائدنا ومزاجنا النفسي والعقلي.

وإذ كانت الأخلاق والعقائد هي الأساس الذي تبنى كل أمة عليه حضارتها، وكانت أخلاقنا وعقائدنا محتاجة إلى الإصلاح كل الاحتياج، فقد وجب أن نبدأ بإصلاحها، فإذا صلحت صلح كل شيء، وإن لم تصلح فلا رجاء في إصلاح. ألا تذكر قوله تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». ولا ينبغي لنا أن يعوقنا عن التصدر لإصلاح ما في نفوسنا من مفسد، وما في عقائدنا من ضلال علماً أن الأخلاق وهي الصفات النفسية ثابتة في الأمم ثبوت صيغاتها الحسدية، وأنها لذلك لا تتغير إلا بمضي آلاف السنين، وأن العقائد لا تقل عنها ثبوتاً، لأننا إذا أمسكنا عن التصدر للإصلاح لهذا العلم فلن نتقدم له أبداً ولن نبلغ ما نريد أبداً. ولا ينبغي لنا أن ننسى بجانب هذا أن للتغيير عوامل فعالة يجمله سهلاً سريعاً وهي الحروب والنهضات القومية، والثورات الفكرية، وأن النهضة المصرية الحديثة من عوامل التجميل للإصلاح، وإن قيام المعلمين آباء وأبناء بأثارة الأفكار وتوجيهها في القري إلى الإصلاح مما يكفل لنا بلوغ المراد منه، فيجب أن نتعاون على هذه الأثارة لنبلغ الأمر الذي نبتغيه.

فإذا نحن أيقظنا بصيغتنا ودعوتنا النفوس النائمة، وأصلحنا العقائد والأخلاق وهذبناها بما لا بد منه من العلم والمعرفة فلنعمد-

المكلفين شرعاً وعرفاً، كانوا من المسئولين عن الإصلاح الاجتماعي ولا يرفع عنهم هذا التكليف أننا معاشر الآباء العارفين نجعل هذه التبعة لأن الأمر أكبر من أن يقوم به فريق دون فريق، وليس هو من فروض الكفاية التي اذا قام بها بعض الناس سقط عن الباقيين. وإنما هو في الوقت الحاضر من الفروض الوطنية العينية التي يجب على كل ذي معرفة القيام بتصيب منها، وقد تكون من الفروض الدينية. وأبناؤنا الطلبة مع ذلك أظهر قلوباً وأخلص نية وأشد غيرة وحمية وأقوى أبداناً ونفوساً، فإذا خلا منهم ميدان الإصلاح فقد خلا من كل شيء.

وإنا لا نبني من أبنائنا النجباء طلاب الجامعة والمدارس العليا أن ينصرفوا عن التزود من العلم وتكميل أنفسهم الى معالجة الإصلاح في القرى، لأننا إن طلبنا ذلك منهم كنا خاسرين مسرفين نشترى إصلاح الفلاح بإفساد الطبقة الممتازة التي نعلق عليها كل الآمال، وإنما يزيد من أبنائنا الطلبة النجباء عُدّة الوطن وأعظم كنوز ثروته أن يقسموا أوقاتهم وجهودهم على ثلاثة أمور لا رابع لها وهي: (١) طلب العلم. (٢) الرياضة البدنية والتهوؤ للباح الذين لا بد منها لحفظ الصحة وتجديد القوى والنشاط (٣) خدمة الوطن من أحسن الوجوه وهو نشر العلم والفضيلة بين سواده الأعظم في القرى.

أما البطالة والكسل والحمول فقد آن أن يكون بين أبنائنا وبينها ما بين المشرقين من بعد في هذا الزمن المصيب الذي يستهدف فيه للفناء كل انسان وكل جماعة لا يكون شعاره وشعارها الجهد، الاجتهاد، اليقظة، الاستقامة، العمل، التقدم. وأنه ليعز علينا أن ينصرف فريق من شباننا في أيام الدراسة وفي أيام العطل الى الهو غير المباح والى الكسل والحمول ناسين أنفسهم ووطنهم. وإن أخطر الناس صفة وأعظمهم غيباً في رأي شاب آتاه الله قوة الشباب وسلامة الأعضاء والصحة وفراغ البال ورزقه من يعوله ويكفل أموره رسالت، له سبل الاستفادة والافادة، ثم هو مع ذلك يضع هذه الهبات الثمينة والواهب العقلية التي من بها الله عليه في الهو والبطالة فلا هو يتفجع نفسه ولا يتفجع غيره. لا بل قد قد يكون بلاء على نفسه وعلى غيره.

وما أشبه المصيرين الآن بركاب سفينة تسير بالمجاديف مع

بعد ذلك الى اصلاح كل شيء اصلاحاً يلائم أخلاقنا وعقائدنا، أو مزاجنا النفسى والعقلى، وإلا وضعنا بجانب كل حجر من أحجار الصرح الذي نبنيه ممولاً لهدمه، لأن الأمة التي تستعير مدنية لا تلائم مزاجها النفسى والعقلى لا تلبث أن تهدم ما بنت بريرة منها، وحسبك دليلاً على ذلك الثورة البلشفية التي فوضت أركان المدينة الغربية في روسيا، فقد كانت روسيا شرقية في كل شيء، فلما ولى أمرها بطرس الأكبر حملها على تقليد الغرب بالقوة فجاءت هذه المدينة الغربية غير ملائمة لأخلاق روسيا وعقائدها لذلك هدمتها أخيراً. وبمثل هذا يتنبأ إمام علم الاجتماع في العصر الحاضر «جوستاف لوبون» للمدينة اليابانية التي نقلت عن الغرب في خمسين سنة. وبمثل هذا يمكنك أن تتنبأ للمدينة التركية الجديدة لأنها من عمل الحكومة لا من عمل الشعب نفسه، وقد نقلها كما هي بلا تهذيب، ولأنها نقلت طفرة لا بالتدريج.

وليس المسئول عن هذا الإصلاح الحكومة وحدها، فإن الحكومات لا تقوى على كل شيء. وإن من الناس من يقصر عمل الحكومات على حماية الوطن من اعتداء بعض أبناؤه على بعض، ومن اعتداء الأجانب عليه. أما ما عدا ذلك فهو عنده من عمل الأمة وحدها، ولئن استطاعت الحكومات أن تعمل كل شيء وحدها فلها لا تستطيع أن تقوم البتة بالرائف الكبرى كالزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والتهذيب، فإن هذا بلا شك من أعمال الشعوب، ولا بأس بمعونة الحكومة فيه.

والمسئول من الأمة المصرية عن تحرير ملايين الفلاحين المصريين من مفاسد الأخلاق ومن البدع والخرافات والأوهام والضلالات وتزويدهم بشئ من مكارم الأخلاق ومن العقائد والمعارف الصحيحة التي لا بد لهم منها في دينهم وديانهم ليصبحوا كأمثالهم في البلاد الراقية وليستطيعوا أن يقوموا بإصلاح عناصر المدينة ومظاهرها إنعام أهل المعرفة من البالغين الراشدين المصريين.

لا شك أن العالم مسئول عن أخيه الجاهل، فلو أن رجلين اجتازا طريقاً خطيرة، وكان أحدهما علم بما فيها من خطر ولم يكن الآخر على شيء من العلم بما فيها من خطر، ثم أصابهما فيها صائب من الأذى كان العالم حينئذ هو المسئول عن الجاهل.

وإذا كان أكثر طلبة الجامعة والمدارس العالية من الراشدين

المستقبل وسعادة المستقبل ، وتعالوا الى الميدان الذين فتحه لكم
اخوانكم الاجداد أعضاء اللجنة التنفيذية لشروع القرى وجمال
فيه جولات صادقات في هذه العطلة الصيفية أبطال من ذوى
المزائم هم اخوانكم المتطوعون لشروع القرى فكان هؤلاء
وهؤلاء من المجاهدين السابقين الأولين الموقنين . تعالوا واعملوا
لوطنكم منذ الآن تحت العلم الخفاق الذى يحمله علم مصر ونفخها
في القرن العشرين أبو الطب غير منازع ولا تدافع ، الدكتور
على باشا ابراهيم واذكروا قول الشاعر

املاً الدنيا بما تستطيع من عمل يبق اذا العمر ذهب
انما الأعمال تارخ القى تقرأ الأجيال فيه كتب
تعالوا واعملوا للخير ، وقسمكم الله لاسعاد أنفساً ولاسعاد
وطنكم وأبقاكم ذخراً له ما

عبد الله امين

طائفة من سفن أخرى لا أقول تسير بالنجار ، وإنما أقول إنها تسير
بالمجاديف مثلها ، تلك السفن هي دول التراب . وتسعة أعشار من
في السفينة المصرية نيام نوم أهل الكهف ، والعشر المتيقظ هو
الذى يسير السفينة وحده ، على حين أن ركاب كل سفينة أخرى
يتناوبون العمل بينهم ، فلا بد لسواعد المصريين من الكلال ولا بد
لزمهم في النهاية من الظور ، ولا بد لسفينتهم من الاقطاع عن السفن
الأخرى . وأنت عليم بما يصيب هذه السفينة المقطعة من اليبلاء
ولو أن هذا العشر أيقظ تسعة الأعشار لاستغل جهودهم
ولوصل بالسفينة وهي مصر الى حيث تصل السفن الأخرى
وأصبحت سحوة من المهالك ونجاء هو ونجوا هم معه . وليس
ما يذل من جهد ومال في تهذيب العامة واصلاح شأنهم بكثير
وان عظم . ولو علم الناس ما في تركهم أبناء وطهم فريسة للجهل
وللفلال وللفقر والأمراض الجسدية والنفسية من الأخطار المحققة

التي لا يمكن أن يسلم منها مجموع الأمة لا فتدوا
سلاستهم بأموالهم وأقسيمهم ، فما أشبه أبناء الوطن
الواحد بأبناء أب واحد ، عنى بترية فريق من
هؤلاء الأبناء فشيوا مهذبين قادرين على كسب
قوتهم من أحسن الوجوه ، ثم أدركته الوفاة قبل
أن تشتد سواعد الفريق الآخر ويربهم ، ثم أهل
اخوتهم تربيتهم فنشأوا جهلة مرضى النفوس
محزنة عن كسب أقاتهم . فلا شك أن الفريق
الأخير يصبح عالة على الأول مسئولاً منه شرعاً
وعرفاً ، فهو إما أن ينهض بأعبائهم ، وإما أن
يستهدف خطرهم ويكون هو أول فريسة لهم
يلبونه ماله وراحته وربما سلبوا روحه ، وما
أكثر ما يمثل أمامنا من آن لاخر من هذه الحوادث
فيأيها الشبان التعاملون النجباء ، يا رجال
المستقبل القريب ، اعلموا من الآن على ايقاظ تسعة
أعشار المصريين اخوانكم لتلا يكونوا عالة عليكم
غداً ، بل ليكونوا لكم على احياء الحضارة
واصلاح كل قاسد ، واحذروا أن تشتروا
العاجل بالأجل بأن تؤثروا ساعت قفصونها
في التور والكل والحول الآن على راحة



٨- بين المعري ودانتى

في رسالة الغفران والكوميديا المقدسة

بقلم محمود الصمغرى

الوطنية لدى الشاعر

رأينا فيما عرفنا له من وطنية شاعر الطليان أنه كان يخفق الناسبات ليصدع بشعوره نحو بلاده ووطنه، فيجاور شخصيات وإيته في جرائعهم الوطنية، ويتخيل لهم من صنوف العذاب ما تشعر لهوله الأبدان، وفي الحق أن وطنية دانتى ملكت عليه كل نفسه، وسأقص عليك حديثاً طرز به كوميديته، فكان حليتها وزينتها، وسأعرض عليك تلك الأنشودة تعلم أى حد بلغت به وطنيته، وأى مقدار بلغه النزاع والفشل بين الطليان في عهده، وكم برح بهم الظلم، وهدت من أركانهم القوضى، ثم تقرر حلهم بالأمس بحلمهم اليوم لتعلم أن الأمم تسقم وتبرأ، وتضعف وتقوى، فلا يخالج اليأس نفسك، ويمتد بك الأمل فتوقن باليوم الذى تتبوأ فيه بلادك مركزها تحت الشمس مستميدة عصر صلاح الدين، وأيام رمسيس.

فبيننا دانتى يجوب (الأعراف) مع فرجيل إذا بروح نبيل يرمعها ملياً، ثم يسألها قائلاً: من أنتما أيها القادمان؟ فيكون تعارف يعقبه عنقا، وإذا بهذا الروح روح الشاعر سورولو Sordello مواطن فرجيل، ولم يكده يرفقه حتى اتحنى به قليلاً يحده، وبقى دانتى منفرداً يفكر في لقاء المواطن للمواطن، ومحبة ابن الشعب لابن الشعب. نثارت شاعريته، وصدق بما خلدته الأجيال، فقال:

(لك الله يا إيطاليا، أيها الأمة الذليلة المستميدة، يا مواطن الآلام وميدان المظالم، لقد أصبحت وكأنتك سفينة بغير ربان يتخذك وسط هذه الزوينة، ويقودك إلى شاطئ السلامة وبر الأمان، إن هذه الروح الكريمة قد وقفت تحتفل بمواطنها بمجرد أن سمعت باسم وطنها، بينما أنت لا تستطيع أبناؤك الأحياء أن يعيشوا دون أن يتقاتلوا ومحارب بعضهم بعضاً، وحتى أبناء

المدينة الواحدة قد أخذوا يتخاصمون ويتنازعون! أنظري أيها البلدة التمسمة الذليلة، واجمعي في كل مجارك وجبالك ووديانك وفي كل ناحية من نواحيك، فهل ترين جزءاً واحداً يتمتع بالسكينة والراحة والسلام؟ آه. إنك لو قبض الله لك حاكماً أو رئيساً حازماً لحسنت حالك، وهذا بالك، ولكن القياصرة يعيشون بيدين عن أرضك التي سيثول أمرها لا محالة إلى الخراب والدمار. إن روما تبكى وتستغيث بالأمبراطور، وكل بلاد إيطاليا قدامتلات بالظلمة قساة القلوب، وفي فلورنسا أصبحت الأحوال أسوأ منها في أى مكان آخر؛ فقد تسن فيها القوانين ولا تلبث أن تلتفى بين عشية أو ضحاها، وأصبحت كالرييض الذى ألح عليه النداء، وأعوزه الدواء، وأخذ يتقلب من جنب إلى جنب لكي يخفف من آلامه وعذابه دون أن يشعر بالراحة أو يذوق لها طعماً.)

أفرايت إذا كيف كان دانتى حدياً على وطنه يندبه ويربكي اتقسامه واضطرابه، وضعف قوانينه وتذبذبها بين الالغاء والوضع كل عشية وضحاها؟

فلو أنه بعث الآن من مرقده ورأى بلاده اليوم وهى تنعم بالقوة وبالتمعة لقرت عيناه، ولفأ مدمع كان هتاناً على وطن ملكت فكرته عليه كل شعاب نفسه.

الارتقاء في الروايتين

كلا الشاعرين ذم هذا المرض الفتاك، وثار على ذلك النداء الويل؛ وما كان شاعر المعرة بالذى لا يعرض للانتحار: يهجنه ويرزى به؛ فقد افتن في الرواية به بمباراة احتفل بها، وأسرف في احتفاله، فكانت جد غامضة ومبهمة. وما نحسب أن كثيراً من الأدباء يستشف غرض أبي العلاء دون أن يلحق به كبير من عناء ومن جهد. على أن في تهذيب الأستاذ كامل كيلانى رسالة الغفران، وفيما حلل به جيداً من شرح وعنوانات، ما يجعل الطريق أمام روادها معياداً شائقاً إلى حد كبير.

ورغمًا من اغراب أبي العلاء هنا فانك تراه جانف الخيال، وسلك سبيل الفلاسفة والحكماء؛ فجعل يرهن ويملك متخذاً من جهالة الانسان بحصيره بعد الموت، ومن تقلبات الأيام وابتسامها

٣- أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المنفور له احمد باشا تيمور

مصطفى باشا الخزينة دار

جر كسى الأصل ، اشتراه عزت باشا ، أحد الصدور في زمن
السلطان محمود الثاني ، ورياه صغيراً في القسطنطينية ، ثم أتى به إلى
مصر سنة ١٢٥٢ ، فاشتراه ككتخداها عباس باشا بن طوسون
باشا بن محمد علي باشا ، وحظى عنده حظوة عظيمة ، وقدمه على
سائر مملوكيه ، ولما تولى ابراهيم باشا بن محمد علي على مصر
سنة ١٢٦٤ استأذن منه عباس باشا في السفر إلى الحج فسافر إلى
الحجاز وأقسم بأنه لا يعود لمصر مادام عمه والياً عليها ، لوحشة
وقعت بينهما ، وأخذ المترجم معه ، فلما وصل إلى مكة وأدى فريضة
الحج وصل إليه البشير بموت عمه ابراهيم باشا ، وتوليته مكانه ،
وصادف ذلك موت خزينة داره واغاب أغا الموره لى فأقام المترجم
بده وأعتقه ، ولزمه من ذلك الحين لقب الخزينة دار ، ثم جعله
رئيساً لمملوكيه ، وأنتم عليه برتبة أميرالاي ، ووظف له ألف دينار
مصرى في السنة ، وعاد منه إلى مصر ، فكبر شأنه ، وعظمت
منزلته بين الأمراء ، وأمر ونهى في الولاية ، وحل عند سيده
بمنزلة كبيرة ، حتى أمر أن يكون أمر المترجم كأمره فأنفذ لا يرد
في كافة الدواوين ، وكان يقول له انت يا مصطفي مثل أولادى ،
والمترجم لا يقابل ذلك إلا بالصدق والاحلاص في الخدمة ، والوالى
يوالى به ، ويزيد في اعزازه ، حتى أمر أن يركب مثل ركوبه
في موكب بجند وحاشية ، فاستعفى من ذلك وقال : عبدكم يكفيه
ركوب جنديين يستخدمهما في خدمة أفندينا قبيل منه وأعفاه ،
وتسامع الناس بذلك فلأمره بعض أخصائه على إيائه هذا الشرف
العظيم ، فقال له أنتم جهلاء لا تقرأون العواقب ، أما تعلمون أنه
إذا مات أو غضب على أسلوب هذا الشرف وينحط قدرى بين
الناس ، أفليس الأولى لى أن أبقى على حالة واحدة لا أعيرها ؟

وكان المترجم ميالاً لفعل الخير يرمى فيه جهده ، يروى أنه
أنقذ نحو ثلاثمائة شخص من القتل والنفى لتنفيذ كلمته عند الوالى ،

بعد العبوس أدلة يهجن بها الانتحار ، ويقبحه . ولانى ذا كرك
شيئاً من قوله في ذلك ، فاستمع اليه حين يقول : « قد كدت ألحق
برهط الدم ، من غير الأسف ولا الندم ؛ ولكننا أُرهب قدوى
على الجيار ، ولم أصلح بخلتى بأبار . وقيل لبعض الحكماء : إن
فلاناً تلتف حتى تقتل نفسه ، وكره أن يمارس بدائع الشرور ،
وأحب النقلة إلى دار السرور . فقال الحكيم قولاً معناه : أخطأ
ذلك الشاب القتل ، له ولأمة يحق الهبل ، هلا صبر على صروف
الزمان ، فانه لا يشمر علام يقدم ، ولولا حكمة الله جلت قدرته ،
وأنه حجز الرجل عن الموت ^(١) بالخوف من المأز ^(٢) والقوت ،
لرغب كل من احتدم غضبه ، وكل عن ضريبة مقضبه أن تترع
له من الموت كؤوس »

أفرايت في حديث أبى العلاء كيف سلك سبيل الحكماء ،
وكرر معنى ذكره في لزومياته ، ذلك المعنى هو رهبة ما بعد الموت ،
وصدها عن ورود حوضه حين يقول :

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة

خشية لاعتراها القوم أفواجا
وكان من ألفت الدنيا إليه أذى

يؤمها تاركاً للعيش أمواجا
فما هو سر ذلك وما سببه ؟ أكبر الظن أن سر ذلك هو
وقوع ذكر الانتحار في الرد على رسالة ابن القارح بعد أن انتهى
حديث الفردوس والجحيم . ولقد نرى أبى العلاء يتطاحن خياله ،
يل يودعه خياله حين يودع الجنان واليران ، وحين يأخذ في الرد
على ما جاء في رسالة ابن القارح وما فيها من أشخاص يساجله
الحديث عنهم ، ويزيد عليه بسطاً في القول ، والمساجلة في
الشخصيات وفي توارخها ، وفي المذاهب والمقائد أبدى شيء عن
الخيال ، وأحوج شيء للمباراة البينة في دلالتها ، والسافرة عن غرضها
ولكن داننى بمحدثنا عن الانتحار وهو في دوره الثاني من
الطبقة السابعة في جهنم فأعمل خياله في تهجينه ، ووصف عذاب
المتحجرين وصفاً يبعث في الجلود قشعريرتها ، وفي القلوب هلمها .
ومرعدنا بالحديث عن ذلك العدد القادم .

محمود احمد الفسوى

أمراها ، نحن ليس عندنا غير عشرين فارساً لحفظ قصور الحرم ،
فتبين لهم صدقه ، ثم لما أراد سعيد باشا السفر الى دار السلطنة
لشكر السلطان على توليته على عادة ولاية مصر من بني محمد على مع
سلاطين آل عثمان وجد خزانة مصر خالية من المال ، فطلب من
الترجم أقرضه خمسين ألف دينار من أموال عباس باشا التي بيده
فأبى وتوقف وقال : إنما أنا أمين عليها ، وصاحبها الهامى باشا
باستنبول ، ولا يجوز لى التصرف في ماله بغير اذنه ، فتدخل بعض
الأمراء في الأمر ، حتى رضى بأقرضه القدر المذكور بشرط أن
يكتب صكاً به ويوقع عليه ، ففعل وأخذ المال ، ولما حضر الهامى
باشا من دار السلطنة أعطاه الترجمة الصك وقال له : هذا المال أخذه
عم أليك ، فإن شئت طالبت به ، وإن شئت تجاوزت له عنه ،
فعدت هذه الحادثة من مواقف الترجمة المحموده .

وتقى الترجمة خزينة دارا لالهامى باشا حتى رآه ينفق أمواله
في غير وجهها ، فنصحه بأنه إذا دام على هذا الحال لا يبقى ولا يذر
شيئاً مما تركه والده ، وأوصاه بالحزم ، وقال له في عرض كلامه
ياسيدى أنا لا أنهاك عن الكرم والاحسان الى الفقراء ، ولكنى
أنهاك عن الامراف والتبذير والانعام على صفار الخدم بهته الجواهر
والنفائس الثمينة التي تراها في أيديهم كل يوم ، ولما رأى اعراض
الأمير عنه وتماديه فيما هو فيه استعفى من منصبه وترم داره التي
بالتبليطة . ثم بدا له السفر الى دار السلطنة فسافر اليها وعلم
السلطان عبد المجيد بن محمود بتقديمه فطلبه الى القصر ، ولكنه
لم يقابله بل أمر أولاده الأمراء مراداً وعبد المجيد ورشاداً باكرامه
فقابلوه ولاطفوه ، ثم قيل له ان في نية السلطان الانعام عليه برتبة
باشا وأشير عليه بعدم السفر فلم يوفق للاقامة بل سافر بغير اذن
الى الحجاز ، فخرج وعاد لمصر ، وكان الوالى سعيد باشا أرسل الى كامل
باشا زوج أخته الأميرة زينب هاتماً أن يراقب الترجمة مدة وجوده
بدار السلطنة لأنه يوجب من سفره خيفة ، فأعلمه أنه تحقق من أن
الرجل ليس له مقصد سوى التنزه والسياحة فقط . وأراد سعيد
باشا حرمه باستخدامه فشكر ولم يقبل ، ولما تولى اسماعيل باشا على مصر
أنتم عليه برتبة ميرميران وأمر باستخدامه عضواً في مجلس الأحكام
فاعتذر عن الاستخدام وقال للرسول ان كنتم تجبروني على الخدمة
لأجل وتبكم فهاك (فرمائها) أردت لأفندينا فاقره اسماعيل باشا على
الرتبة وأعفاه من الخدمة .

وروى أن عباساً باشا غضب مرة على احمد باشا التنكلى ، وكان
من جلة القواد ، فجفاه الناس ، وخصوصاً الأمراء على عاداتهم مع من
يغضب عليهم الولاية ، حتى يبلغ بالواحد انه لا يستطيع المرور أمام
دورهم ، واتفق ان للتنكلى ذهب يوم العيد الى العباسية لمقابلة
الوالى وطلب العفو ، فأتى اعراضاً من الحاشية وقفوراً ، ورآه
الترجم على هذا الحال فصعب عليه مكانه لما كان يعلمه عنه من علو
الترتبة عند الولاية السابقين ، فأسرع اليه وأكرمه وأمر له بالقهوة
واللحان ، وجلس بين يديه متأدياً ، ونفى الخبر ليعاس باشا فغضب
واستدعى الترجمة ووجه على اكرامه رجلاً مفضوباً عليه منه ،
فتلطف معه وقال له : حلم أفندينا أكبر من كل ذنب ، وهذا
الرجل تعلمون حسن بلائه في الخدمة ، وقد جرأنى هذا الحلم بأن
سكنت روعه وأخبرته برضاكم عنه ، وانكم دائماً تذكرونه بالخير
وتقولون هذا رفيقنا بالشام يوم كنا مع عمنا في المحاربة ، وأفندينا
أكرم من ألا يقبل شفاعة عبده فيه ، فضحك عباس باشا وقال
لا بأس عليه قد عفوت عنه ، ثم استدعاه فدخل وقبل الأرض من
شدة فرحه ، ودنا منه حتى قبل قدمه ، فأجلسه وبس في وجهه
وقال له انت (ارقداش) ثم صرفه شاكرآ مسروراً .

ثم لما مات عباس باشا بقى الترجمة خزينة داراً لدائرته زمناً
قليلاً ، وتولى محمد سعيد باشا على مصر وكان بالاسكندرية فتأخر
بها خمسة أيام خوفاً من أن تقتاله شيعة عباس باشا اذا حضر الى
القاهرة ، لما بلغه من أن الأتقي يريد تولية الأمير الهامى باشا بن
عباس باشا ، فتأخر حتى كتب له الأعيان والأمراء بالطاعة وأرسلوا
كتابهم اليه ، وفيه توقيع للترجم ، فاطمان وحضر الى القاهرة
ونزل في قصر شبرا عند أخيه حليم باشا ، فبات عنده ليلة لم يهنا
سحبها بنوم ، وأخبر أخاه انه بلغه عن الترجمة ان عنده في العباسية
خمسمائة فارس بسلاحهم ، وأنه يخشى من هجومه بهم على القصر
فصد اغتياله ، فصرف عنه أخوه هذا الوسواس ، ثم طلب الترجمة
بعد ذلك الى القلعة وخرج اليه حسن باشا المناسترلى ، وقال له
أفندينا يعلم انك رجل عاقل فما هذه الخمسمائة الفارس التي عندك
بالعباسية ؟ أتحاول أن تحدث بهم أمراً ، أو تجند لك ملكاً ؟
فقال معاذ الله من ذلك ، إنما أنا عبد من عبيد أفندينا ، وكل
ما سمعته عنى زور وبهتان من سعى الفسدين ، وبعد ، فهل هذه
الفارسان في بطن الأرض أو فوق ظهرها ، وكيف خفى عليكم

ماورد الا للسياحة . وأقام بدار السلطنة نحو عشرة أشهر ، ثم سافر منها الى الشام ، ومر بأزمير وتسامع به علماءها فحضر له كبيرهم الى السفينة ، وسأله النزول وألح عليه فقبل ، وأقام عندهم عشرة أشهر أخرى قرأ لهم فيها دياحة الفتوحات المكية . ثم سافر على غير رغبتهم الى الشام ، فلقى من علمائها اكراماً زائغاً واحتفالاً كبيراً لآسيا من كبيرهم الشيخ سليم المطار ، وتلقوا عنه بعض رسائل منها تشرح الافلاك في الهيئة ، وقصود الحكم لابن العربي ، ثم أراد الشخصوص الى بغداد ، ولكنه استصعب السفر اليها برأ لكبر سنه وبداية جسمه ، فعول على السفر اليها بجرأ ، وأتى مصر بنية السفر منها في البحر الأحمر وخليج فارس الى البصرة ومنها الى بغداد ، فلما وردها أنزله السيد احمد الحسيني شيخ طائفة النحاسين بداره وقام بشؤونه أتم قيام ، وتراخت عزيمته المترجم عن السفر ، وبدا له أن يتخذ القاهرة دار اقامة ماشاء الله تعالى فانقل الى مكان اكرهه بخان الخليلي وأقام به بضع سنوات منكشاً عن العالم مقبلاً على شأنه ، مواظباً على الاقراء والتدريس ، ولم يكن معه غير أحد تلاميذه ، وعلى هذا التلميذ قرأ شيخنا العلامة الشيخ حسن الطويل خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي .

ثم لما كانت ولاية اسماعيل باشا على مصر أجرى على المترجم عشرة دنانير في الشهر تصرف له من الحكومة ، واستصوب أبو بكر راتب باشا ناظر الأوقاف اذ ذاك انتقال الشيخ الى مدرسة محمد بك أبي الذهب التي بجوار الأزهر فانتقل اليها وسكن بها في قاعة الشيخ الصبان الذي كان موقفاً لهذه المدرسة ، وأقام المترجم بها نحو أربع سنوات ، ثم وافاه أجله المحترم في ربيع الثاني سنة ١٢٨٧ ، وقد جاوز التسعين ودفن بستان العلماء في مقبرة المجاورين ومات من غير عقب لأنه لم يتزوج في حياته .

وكان ربعة أيضاً اللون واللحية كنها ، كبير الهامة ، بديناً مهيماً اذا سار في الطريق قام له الناس من يعرفه ومن لا يعرفه ، حلماً متواضعاً عفيف النفس زاهداً ، مع كمال عقل وحسن فراسة . وكانت له اليد الطولى في كافة العلوم ، وكان الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر يعرف له قدره ، ويؤروه بمدرسة محمد بك . ولما مات الشيخ الباجوري وبقي الأزهر بلا شيخ اكتفاء بالوكلاء ، ولهج الناس بضرورة اقامة شيخ قال الشيخ الأنحوني لو استشرت في ذلك مارضيت بسوى الشيخ محمد أكرم ، فانه رجل له جانب مع الله ، وبلغ المترجم قوله فتبسم وقال مالي وازهرهم ، لو عرضوا على ولاية مصر ما قبلها ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ويق بعد ذلك في داره وينتقل قارة الى ضياعه يراقبها وينفق من غلتها حتى وافاه أجله فمات محمود السيرة عف السريرة قليل الشاكين كثير الشاكرين لا يقطع فرضاً ولا يقصر عن نافلة مع احسان للفقراء وسعة في النفقة من غير تقتير ولا اسراف ، وخلف ثروة واسعة وأموالاً طائلة من غير عقب لأنه لم يتزوج في عمره إلا بنت راغب أغا سلفه في الخزينة دارية ، وكان الهامى باشا أراد أن يزوجهما لشكيب باشا مدير ديوان الأراضى الأميرية فلم تقبله واختارت المترجم فتزوجها وانتقل الى دارها فأقام معها نحو ثلاثة أعوام ثم فارقها بكرام لم يبق بها رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد أكرم الأفغانى

هو الشيخ الأجل ، والعالم العامل ، القدوة الورع ، زليل القاهرة أصله من القبيلة الافغانية النازلة في مضيق جبل حيدر المشهور الآن ببجبل خيبر الفاصل بين الهند وبلاد الافغان ، ولد ونشأ به ، ثم رحل الى الهند لطلب العلم وهو في الحادية والعشرين ، فورد لكنهوه وهي حافلة بالعلماء ، فقرأ العريضة والمنطق والحكمة والمقائد والتصوف والفقه الحنفي والطب والرياضيات على الطريقة القديمة حتى صار من الفحول المشار اليهم مع العفة والتقوى والتشدد في الدين . ثم سأل في أغلب بلاد الهند وجعل أكثر اقامته في لكنهوه ، ثم بدا له السفر الى الحجاز لقضاء فريضة الحج فسافر اليه حوال سنة ١٢٧٢ وبعد قضاء للناسك ورد على مصر ووزل بالأزهر برواق الافغانية المشهور برواق السليمانية ، فاجتمع به هناك جلة العلماء مثل الشيخ حسين الرضى وغيره ، وبلغ خبره محمداً افندى الافغانى المشهور بالكشميرجى تاجر المطارف الكشميرية بجوار خان الخليلي فاجتمع به وصوب له الانتقال الى مكان فوق حانوته فاكترى به محلاً وانتقل اليه وأقام به نحو تسعة أشهر ، وتسامع به الأكابر مثل حسن باشا المنسترلى كتحدا مصر واسماعيل باشا عاصم ، فسموا اليه وزاروه ، وبلغ خبره الأمير احمد باشا رفعت ابن ابراهيم باشا والى مصر من محمد افندى الاتنانى فاشتاقر رؤيته ، الا أنه كان على قدم السفر الى ضيعة له فأرسل له خمسة وعشرين ديناراً حياه بها .

ثم سافر المترجم الى دار السلطنة واجتمع هناك بمعارف حكمت بك التى كان شيخاً للاسلام وبغيره من العلماء ، فظن عارف بك أن مجيئه لطلب منصب على أو فتح (تكية) أو نوال صلة ، وسأله عن ذلك ووعده بالمساعدة فعرفه المترجم حقيقة أمره ، وأنه

ومن الزرع باسق جنت الأ
ومن الماء دافق جف فوق ال
ثمارة فيه وماجتها يدان
أرض مامس قطره شفتان

لحف نفسى على شباب ذوى قب
ل كمال واجتث قبل الأوان
وضياء خبا ولم يك هدياً
للذى ضلّ في سبيل الزمان
لو نظرنا الى الحياة بعين ال
حق راحت بالكراه والشان
غير أنّا نعيش فيها بآما
ل تسرى لواعج الأشجان
وإذا أخطأت ظنون قيارُ
بظنون تريح قلب العاني

فلنمش بالمتى فكم صدع ال
بدر حجاب السحابة المدجان
ولنمش بالمتى فكم سقت ال
أنواء ذاوى التمار والأغصان
ولنمش بالمتى فكم جرت ال
أقدار بالمرّ بعد طول الهوان
فارفعى الصوت بالفناء قليلاً
بدل النوح ياطيور الأمانه
احمد رامى

هند (١)

للاستاذ محمود خيرت

ومخلّعات^(٢) يستبينك كلما
يخطرن في روض الملاحه عينا
وقد ودّه من الرماح وإن تكن
في مثل عود الخيزرانة رينا
كم خلّفت الحاظهنّ نصبها
شرك الهوى في الآمنين طعينا

(١) تلتقى هذه القطعة مع قطعة شوقي « من صور السحر للبين عينا »
في موضوعها تقريباً . ولكنني ما طمعت عند ممارسته في أكثر من أن
أتأدب بأدبه وفي أن تكون قطعه الفريدة نموذجاً أنج عليه ورقياً
يوجهني في سبيل الكمال . على أن من يوازن بين هذا البيت :

« وقد انتثرن على الحيلة أنجها وشردن من يسره وعينا »
وبين قوله في قطعه :

« فنظرن لا يدرن أذهب يسره فيحذن عن أم أميل عينا »
(شوقيات جزء ٢ ص ١٧٢)

يدرك مبلغ قفري وعجزى ومبلغ مقدرة في تصوير تلك الحركة الواسعة
في مثل أساره الذى امتاز به رحمه الله .
(٢) ربات خلاخيل

مِنْ طَرَائِفِ الشِّعْرِ

طيور الأمانى

للشاعر الوجداني الرقيق احمد رامى

الزهراء

الى محراب أفكارى ومهبط وحى أشعارى
الى القلب الذى حرّك بالأشجان أوتارى
الى جنة أحلامي الى نزهة أبصارى
الى الروح التى أحيت منى نفسى وأوطارى
الى الفجر الذى رصع بالانداء نوّارى
الى الطير الذى آانس بالتفريد أسحارى
أقدم كأس أشعارى وأهدى غصن أزهارى
احمد رامى

طيور الأمانى

هتفت في الدجى طيور الأمانى
حائرات السيون رفاقة الأ
كلما أو شكت تقارب غصناً
أو أسفت تريد تقع ظهاها
فهي الدهر حائمت ترى الأ
ولو ان الرياض خلو لعزت
غير أن العصور ناصجة الأ

هكذا نحن في الحياة تريد ال
وتريد النعيم فيها ومن دو
ونشيد البنى من الأمل السا
ونبت البذور في الأرض وال
صفو فيها والصفونانى الجاني
ن منانا سد من الحرمان
مى وفأس الزمان في الجدران
دهر ضنين بالعارض الهتان

يَمْنُ نَحْوِ النُّهْرِ ذَاتِ عَشِيَّةٍ بَجْرَارِهِنَّ وَرُحْنِ يَسْتَقِينَا
وَالْأَرْضِ تَرْقُصُ تَحْتَهُنَّ صَبَابَةٌ وَالنُّهْرِ مَرْتَقِبٌ يَجْنُ حِينَا
وَالْبَدْرِ يُرْسِلُ مِنْ سَمَاءِ جَلَالِهِ نُورًا كَذَرَاتِ اللُّجَيْنِ حِينَا
وَيَمْدُ ظِلًّا خَلْفَهُنَّ كَأَنَّهُ ذَيْلٌ فَيْشِي كُلَّمَا يَمْسِينَا
قَدْ كُنَّ يَطْعَمُنَّ الطَّرِيقَ وَقَدْ نَأَى بِالسَّيْرِ حِينًا وَالتَّوَقُّفِ حِينَا
وَالْأَنْسُ يَكْسُو حَسَنَ بَشَابَتِهِ كَانَ الشَّبَابُ بِهَا لَهْنٌ مَدِينَا
حَتَّى أَقْبَرَيْنِ فَمَنْدُ مَا أَبْصَرْنِي أَجْفَانٌ حَتَّى كِدْنِ يَسْتَقِينَا
وَقَدْ انْتَرَنَ عَلَى الْحَيْلَةِ أَنْجَمًا وَشَرَدَتْ مِنْ يَسْرَةٍ وَيَمِينَا
إِلَّا فَتَاةً كَالنَّعِيمِ نَضَارَةٌ وَالظُّبَى جِيدًا وَالصَّبَاحِ حِينَا
قَالَتْ عَجِيبٌ أَنْ أَرَاكَ عَلَى مَدَى مَا بَيْنَنَا وَقَدْ أَحْتَجِبْتَ سِينَا

كالدَّرِّ فَوْقَ الْوَجْتَيْنِ سَخِينَا

وَقَرَأْتُ فِي إِطْرَاقِهَا وَخَفُوقِهَا أَنْ الْكُنَّاسَ غَدَا يَضُمُّ عَرِينَا
وَكَأَنَّمَا خَشِيَتْ عَلَى فُطْرَتِهَا عُتْقِي مُسَارِعَةً تَنْ أُنِينَا
وَجَرَّتْ عَلَى شَفْتِي مِنْهَا قُبْلَةٌ حَرَاءٌ كَانَ بِهَا السُّعُودُ ضِينَا
إِنِّي لِأَذْكُرُهَا الزَّمَانَ ، فَسَدَّهَا نَسِيَ الزَّمَانَ وَجُودَهُ ، وَنَسِينَا

محمود زميرت

أحدث المطبوعات

جمهرة خطب العرب

في عصور العربية الزاهرة

تأليف

احمد زكي مفتوت

مدرس اللغة العربية بدار العلوم

الجزء الأول : يشمل خطب العصر الجاهلي
والمخلفاء الراشدين

الجزء الثاني : يشمل خطب العصر الأموي

الجزء الثالث : يشمل خطب العصر العباسي

وخطب الأندلسيين والمغاربة ،

وخطب التتكاك ، وخطب من

أرجع عليهم ، ونوادير طرفة

لبعض الخطباء الخ ...

أقدم مكتبة في الشرق العربي

(مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)

(تأسست سنة ١٨٥٦)

بها أكبر مجموعة من المؤلفات الدينية والأدبية والعامية

لها نشرات خاصة بالمطبوعات المصرية ، وترسل فهارسها مجاناً لمن يطلبها

العنوان :

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

صندوق بوسطة النورية رقم ٧١ - بمصر

الدارة :

شارع التبليطة عمرة ١٢ - بجوار الأزهر الشريف - تليفون ٥١٣٢٢

(مجموعة السنة الأولى للرسالة)

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشاً غير أجرة البريد في مصر وبخمسين قرشاً في البلدان الأخرى

الشعر عند ما كولى

للأستاذ محمود الخفيف

بل إنه كان يتطلع بعين ملؤها الأسف الى تلك العصور التي فاتته ،
عصور الكلمات البسيطة والتأثير الميق !
ياخذ ما كولى في الدفاع عن رأيه هذا فيجرحه الدفاع أولاً
الى العلاقة بين العلم والمدنية . ما حال الشعر في عصور التقدم ؟
وكيف كان حاله في العصور السالفة ؟ وهل لتقدم المدنية تأثير
مطرده فيه ؟

يقرر ما كولى أنه كلما تقدمت الحضارة ، انحط الشعر تبعاً
لتلك التقدم ، ولهذا فانه اذا أعجب بتلك الآثار الشعرية التي جادت
بها الأخيصة في العصور المظلمة ، فليس إعجابها بها قائماً على أنها
وليدة تلك العصور ، كلا . فانه يمتد أن البرهان القاطع على
المعقوبة انما هو قصيدة عظيمة تظهر في عصر من عصور المدنية
والتقدم ، في عصر من عصور الفلسفة والتفكير .

وان الذين ينكرون هذا المبدأ ليخضعون أنفسهم في رأيه ،
ذلك أنهم ينظرون الى الفنون نظرتهم الى العلوم التجريبية
والعقلية ، فيقيسون الجميع بمقياس واحد متخذين تقدم العلم
والفلسفة دليلاً على تقدم الشعر والتصوير مثلاً ، وفات هؤلاء أن
الفرق شامع بين الفن والعلم ، بين الخيال والتفكير ، بين
الحلم والحقيقة ،

نسى هؤلاء أن العلوم تتقدم بتقدم العصور لأن أهل كل
عصر يتدنون دراستهم من النقطة التي وقف عندها أسلافهم ،
ومن ثم كان التقدم العلمى تدريجياً ، وكما تقدمت العصور ، كان
من أيسر الأمور على من رزق حظاً من الذكاء تحصيل العلم ،
فان أى شخص غادى الآن ليستطيع أن يحصل من قوانين
الرياضة في بضع سنين أضعاف ما استطاع نيوتن العظيم تحصيله في
نصف قرن قضاه في الكد والتأمل .

ولكن الأمر على خلاف ذلك في الفنون كالموسيقى أو التصوير
أو النحت ، وعلى الأخص في الشعر ، فان تقدم الانسان في
الاختراع ، قد يساعد على تحسين الأدوات التي يستعملها كل من
الموسيقار والنحات والمصور ، ولكن اللغة وهي أداة الشاعر
تكون أكثر ملاءمة لفننه وهي في حالتها القطرية الساذجة .

هذه الآراء التي يعرضها ما كولى في تحديده العلاقة بين الشعر
والمدنية ، تسوقه الى نقطة أخرى قريبة من هذه ، أعني بها

لكاتب الانجلىزى العظيم اللورد ما كولى طريقة افرد بها
في عرض آرائه والدفاع عنها ، فقد أوتى بسطة في العلم ، واستاز
الى جانب عبقريته بقريحة وقادة ، وذآكرة عجيبة ، هذا الى روعة
في الأسلوب ، وسلامة في المنطق ، ولباقة في سوق المقدمات
وضرب الأمثلة واستخلاص النتائج .

كتب رسالة عن الشاعر ملتن ، وضح فيها آراءه في الشعر
وتناول الموضوع من جميع نواحيه ، ولقد أشار في رسالته الى بعض
المسائل التي يختلف فيها شعراؤنا وأدباؤنا اليوم .

كان ما كولى شديد الإعجاب بالشاعر الكبير ، ولذلك
أحفظه ما كتبه النقاد عنه وانبرى للرد عليهم في حماسة استتارت
عبقريته وأيقظت قريحته . رأى هؤلاء النقاد يسلكون السبل
المتوية للخط من قيمة الشاعر ، فبينما هم يسلمون في غير تحفظ بأن
آثاره جديرة بأن تأخذ مكانها بين أعظم الآثار التي أنتجتها العقول
البشرية ، اذا بهم يابون على الشاعر أن يتبوا مكاناً بين حفول
الشعراء كهوميير ودانتي وفرجيل وأضرابهم ، وحجبتهم في ذلك أن
هؤلاء نشأوا في عهد طفولة المدنية ، فلم يكن لهم من المعارف مثل
ما كان للتلن الذى نشأ في عهد مستنير وتلقى علماً منظماً ، واطلع على
كثير من آثار المتقدمين ، ولكنهم على الرغم من ذلك قد تركوا
للعالم آثاراً تجل عن المحاكاة ، فكانت شاعريتهم طبيعية تتجلى
فيها الاصالة ، وتشتع منها العبقرية ، ولا يمكننا على ذلك أن نضع
ملتن في صفهم ، بل إنه لينبئ علينا اذا أردنا الانصاف أن نحسب
على ملتن ، عند قياس شاعريته ، كل ما أتبع له من ظروف طيبة .

يسرد ما كولى آراء خصوم الشاعر ثم يعلن في حماس ويقين
أنه على الرغم مما يقولون يقرر أنه مامن شاعر قد اضطر أن ينال
من الظروف أسوأ مما اضطر ملتن الى مثالبته ، حتى لقد كان
يخيل الى الشاعر أنه خلق متأخراً عما كان ينبئ له بأجيال ، ذلك
لأنه كان يحس أن شاعريته لم تستفد شيئاً من الثقافة التي تنفثها ،

يستخلص ما كولى من ذلك أن الرجل اذا مال الى التفكير والتحليل كان أقرب الى الفلسفة منه الى الشعر، واذا أسلس العنان لخياله وأحلامه ، كان الى الشعر أقرب منه الى الفلسفة ، وقل في الأمم مثلما تقول في الأفراد .

فالأمم كالأفراد ، تبدأ أولاً بالأدراك الحسى ، ثم بعد ذلك ترقى الى الأدراك العقلى أو المعنوى ، وبعبارة أخرى ، تبدأ أولاً بفهم الصور الجزئية ، ثم تتدرج منها الى الحدود أو النصوص العامة ، وعلى ذلك كانت لغة المجتمع الراقى لغة فلسفية ، ولغة المجتمع نصف المتمدنين لغة شعرية ، وان التطور الذى يطرأ على اللغة من تذييلها وتوسيعها واعدادها لمقابلة التقدم الفكرى ليمد شديد الخطر على الشعر عظيم الفائدة للفلسفة .

وعلى ذلك فانه بقدر ما تزايد معارف الناس وبقدر ما يزايد تفكيرهم ، بقدر ما يتصرفون عن الجزئيات ويقبلون على الأنواع ، وحينئذ يصلون الى نظريات راقية ، بينما فى الشعر لا ينتجون إلا أفكاراً سقيمة قوامها العبارات الغامضة ، بدل الصور الناطقة ، والحجج الجافة بدل الأحياء الرائجة ، أو بعبارة أخرى يكون قوام عملهم فى الشعر الصفات المجردة بدل الأشخاص والأرواح الحية .

نعم إن هؤلاء المفكرين قد يكونون أكثر من سبقوهم مقدرة على تحليل وفهم الطبيعة البشرية ، ولكن التحليل ليس من عمل الشاعر ، فعمل الشاعر أن يصور وليس من عمله أن يحلل أو يشرح ، والتحليل فى الفن يذهب روعتها ، ويبطل سحرها ، وموقف الشاعر من الفيلسوف موقف المصور فى صالته من الطبيب أمام مشرخته ، كلاهما يعرف أجزاء الجسم ولكنهما لا يقصدان غرضاً واحداً ، بل ولا يركبان فى زورق واحد ، ولقد يفهم الشاعر التضائل العامة والطبيعة البشرية كما يفهمها الفيلسوف ، ولكنه فى تلك الحالة لا تؤثر عقيدته فى شعره إلا كما يؤثر علم المصور بنظام الدورة الدموية فى فنه اذا هو حاول أن يرسم تساقط دموع « نوبيا » أو توقد خد « أورورا »

ولو أن شكسبير مثلاً قد رضع كتاباً فى اللوازم التى تسيطر على سلوك الانسان لما كان من المحتمل بأى حال أن يجيد كتابه جيداً ، ولما كان من المحتمل أن يحوى من التحليل ومثانة الحجج مثل ما يحويه كتاب يخرج عالم من العلماء المعاصرين ، ولكن أى عالم لعمرى يستطيع أن يخلق « اياجر » نعم ! أى عالم يستطيع

الملاقة بين الشعر والفلسفة ، فالفلسفة من عمل العقل والتحليل والتحخيص والموازنة والاستقرار والاستنباط ، وتلك كلها أشياء تتقدم بتقدم المصور ، اذا فما موقف الشعر من الفلسفة ؟ يتساءل ما كولى هل حاشى واحد . وبعبارة أخرى هل يمكن أن يكون الشاعر فيلسوفاً والفيلسوف شاعراً ؟ وهى كما ترى نقطة ثار فيها الجدل بين كثير من الأدباء فى الشرق والغرب ، فبعضهم لا يجد غضاضة فى الجمع بين الشعر والفلسفة فى شخص واحد ، بل وفى موضوع واحد تناوله النظم ، ومن أجل ذلك تراهم يطلقون لقب الشاعر الفيلسوف على بعض الأشخاص .

ولكن ما كولى يرى أن الشعر والفلسفة شيان ، بل نقيضان ، والجهل بهذه الحقيقة فى زعمه جهل بمعنى الشعر و جهل بأغراضه فهو لا يعنى بالشعر كل كلام منظوم ، لا ولا كل جيد من النظم ، بل انه اذا أراد الشعر بمعناه الحقيقى ، ليستبعد كثيراً من الكلام المنظوم ، الذى ربما نال حظاً من الأبحاب فى مجال آخر ، وإنما يقصد ما كولى بالشعر ، تلك القدرة على الوصول بواسطة الكلمات الى ما يصل اليه المصور بواسطة الألوان ، ثم ذلك الجو أو ذلك السحر الذى يتزع الانسان مما يحيط به ويظير به على أجنحة الخيال الى وديان نسيحة مليئة بالرؤى والأطراف ، ثم ذلك التأثير القوى ، وتلك الحرارة أو ذلك الحساس المشبوب ، الذى يجمل المرء طوع قلبه ، وان هو خالف فى ذلك منطق وقواعد فكره .

ذلك هو الشعر فى جوهره وطبيعته ، وعلى ذلك فان كثيراً من النثر الذى تتحقق فيه هذه الصفات ليمد من روائع الشعر ، فاذا ما أردنا الشعر فى الاصطلاح التزمنا النظم ، وبواسطة الوزن والقافية والمهارة فى التوقيع ، نستطيع أن نجتمع بين الشاعر والموسيقار ، كما جئنا بين الشاعر والمصور .

وشتان بين هذا وبين الفلسفة . نعم شتان بين عمل العقل فى التفكير والتحليل ، وبين اختلاج النفس بالأحاسيس وامتلاء الخيلة بالصور ، وحيثان القلب بالماطفة ، وامتلاء المحاجر بالدموع ، أو إشراق الوجوه بالفرح ، واهتزاز الهيكل كله بالموسيقى .

واذا كان الأمر كذلك فما أعجب الخلط بين الشاعر والفيلسوف فى موضوع لا يمكن إلا أن يكون واحداً من اثنين : فاما الى العقل وإما الى القلب !!

في الأدب الفرنسي

٦- الدوق دي لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

فلسفة :

لما عجز لاروشفوكو عن تحقيق آماله وبس من ارضاء طموحه، صدف عن حياة الاجتماع الصاخبة، وانطوى على نفسه وحلها، واستعرض في ذهنه حوادث الماضي وأخلاق الناس الذين عاشهم ولا حظهم، ثم طلع عليهم بمواعظه القاسية الأليمة التي تظهر عواطفهم في صورة ديمية، وتجمل لجميع أعمالهم مصدراً واحداً هو الأثرة. وليس عجيباً أن يقسو هذا الرجل في الحكم على نفسه وعلى الناس، وأن يقوده التفكير الى فلسفته اللاذعة، لأن التحليل لا يسبح التسامح، والغلو في الشك يؤدي الى حب النفس. وأعتقد أن آراءه في معاصريه وبيئته، تنطبق على الانسان في كل زمان، مع أن المصور الذي يرسم البحر أثناء العاصفة فقط، لا يبطئنا عنه إلا فكرة ناقصة الى حد بعيد. ولكي يكون الحكم على الجماعة صحيحاً، يجب ملاحظتها ودرسها في حالتها المدوية والشغب، ولكن لاروشفوكو رأى الناس في عصره يعملون مدفوعين بمصلحتهم الذاتية، كما هو الحال دائماً أثناء الاضطراب الداخلي والحروب الأهلية، فاستخلص من ذلك أن المصلحة الذاتية التي يسميها عثرة النفس أو الأثرة هي الباعث على جميع الأعمال الانسانية، وينبوع المواقف البشرية. ولا شك في أن الانسان

ألوانه، وتلاشت أطيافه، وهكذا ترى الفلسفة والشعر على طرفي نقيض.

تلك هي حالة آراء ما كولي في العلاقة بين الشعر والمدنية وبين الشعر والفلسفة. ولعلني أعرض على القاري في القريب رأيه في شاعرية ملان، فقد تعرض في ذلك إلى كثير من الأفكار التي تدور حول الشعر ولقته ومحسناته ومهاميه.

محمود الطيف

مع قدرته على تحليل الشخصيات الى عناصرها أن يضم من هذه العناصر ما يريد ليخرج لنا في النهاية رجلاً مثل « اياجو » له خلق خاص وطبيعة خاصة وسلوك خاص ؟

ولا يكتفى ما كولي بهذه البراهين التي ساقها للترفة بين الشعر والفلسفة، بل انه ليخطر الى أبعد من ذلك فيقول انه ربما كان من المستحيل على أي امرئ أن يكون شاعراً لا ولا أن يفهم الشعر ما لم يتجرد بعض الشيء من حدة عقله، أو ببارة أخرى ما لم يكن له نصيب من خمود الذهن، اذا صح هذا التعبير وجاز لنا أن نسمي تلك القوة المعجبية التي تملأ قلوبنا بهجة خموداً ذهنياً. نعم ان الصدق في الشعر أمر جوهري ولكنه « صدق الجنون » ذلك لأننا في الشعر نقيم الجدل الصحيح على القدمات الزائفة، فبعد أن نضع الفروض الأولى، يسير كل ما بعدها في توافق واتزان، ولكن قبول تلك الفروض يحتاج الى نوع من التصديق قد لا يتيسر لنا إلا اذا ألقينا عقولنا مؤثمتاً، ومن ثم كان الأطفال أكثر الناس خيالاً، فانهم يستسلمون الى الوهم، فاذا حاضرت أية صورة خيالية أمام أذهانهم عرضاً قوياً فانها تفعل بنفوسهم ما تفعله الحقيقة. وليس ثمة من رجل معها بلغت قوة احساسه بتأثر بقراءة « هملت » أو « لير » كما تتأثر فتاة صغيرة بقصة الذئب والجدة العجوز، ان تلك الفتاة تعلم حق العلم أنه ما من ذئب في انجلترا، وأن الذئب لا يتكلم، ولكنها على الرغم من يقينها هذا تصدق فتبكي فترتمد، وذلك هو سلطان الخيال على العقول التي لم يصقلها العلم أو على الأم في عهد طفولتها.

ولن يترك ما كولي أدلته دون أن يتوجها بتشبيه بديع، فهو يشبه الشعر بالفانوس السحري؛ فالشعر يرسم أطيافه في غميلة سحرية، أو كما يسميها ما كولي « عين العقل » كما يرسم الفانوس السحري صورته فتمتلئ بها العين الحقيقية « عين الجسم » وكما أن الفانوس السحري لا يؤدي عمله على الوجه الأكمل إلا في الحجرات المظلمة، فكذلك الشعر لا يؤثر تأثيره القوي إلا في المصور المظلمة، عصور العقول الساذجة الفطرية التي لم تسيرها الفلسفة والعلوم. وكلما انتشر نور العلم وتمكنت العقول من استنباط الأصول وتقرير القواعد وكشف النقاب عن حقائق الحياة، تضائل تبعاً لذلك عمل الخيال وترايل تأثير الشعر، وحالت

الانجليزي الذي يرد بعض المواطنين الهامة مثل الشفقة وحب البر والاحسان الى مصدر واحد هو الصلحة الذاتية . ولكن الحكم الفرنسي توغل أكثر منه في النفس الانسانية . وقليل من علماء النفس مثلوه في دقة التحليل ، ولم يصل أحد منهم بمثل مهارته الى هذا الجزء الخفي من النفس الذي تكمن فيه بعض الأفكار الأنانية المميقة . هذه الأفكار المهمة ينفذ اليها لاروشفوكو بعقله ويخرجها الى النور دون أن تستطيع الافلات منه

ويرى هوبز أن في الحياة لذتين رئيسيتين : لذة البدن وهي الاستمتاع ، ولذة النفس وهي النور ، ويفضل الأولى على الثانية . أما لاروشفوكو فيعتقد أن اللذة النفسية هي الجديرة بالترفض على غيرها . « أكبر مسرات النفس في اعتقادي هي المجد الصحيح والمعارف الجميلة . وأؤمن بأن الذين يعملون للذة الجسدية قيمة كبرى لا يملكون من هذه للمعارف إلا قليلا . وأرى أن اللذة الحسية خشنة مبتذلة تلهم الاستمزاز ، ولا تستحق البحث عنها والسعي وراءها إلا اذا كان للذة النفسية نصيب كبير فيها

ولم يقل ذلك الا بعد أن مل العيش وكلف بالقراءة والتفكير العميق . وهو هوبز يتفقان على أيقور على أن الأعمال الانسانية ليست تقي من الرض . وقد اتبعا طريقتين مختلفتين في الوصول الى آرائهما ، ولكنهما اتفقا في نقطة واحدة . أما هوبز فقد استعمل طريقة الاستنباط (أي استخراج قضية من قضية أعم منها) والتعقل . وأما لاروشفوكو فقد اتبع طريقة الاستقراء (أي الانتقال من الخاص الى العام) والملاحظة . وكلاهما اتبع سبيلا واحدة في اتجاهاين متضادين ، ونجحوا في قطعها الى آخرها كل في اتجاهه

لما كف لاروشفوكو عن حياة الخيال والديسمة والشغب ، بدأ حياة الفكر وتسلل بعقله الى أبعاد أغوار نفسه ، ولاحظ في دقة نادرة نفوس أهل عصره . ثم وجد أنه أينما ولي بصره لا يرى

النظام والحفاظة عليه ، وإخضاع الأفراد لقانون أو على الأرجح لارادة فرد واحد ، وعلى هذه الارادة يتوقف الخير والشر . ولا يجد هوبز أي فرق بين القانون والارادة الاستبدادية ، أي لا يجد فرقا بين القوة والحق . وكل سلطة في اعتقاده مصروعية مادامت كاتبة وفي استطاعتها الحفاظة على كيانها . أما رأيه في الكنية فهو وجوب خضوعها للدولة خضوعاً تاماً .

يعمل دائماً طوعاً لمبدأ في دخيلته يدفعه الى البحث عن مصلحته الذاتية وسعادته . ولكن يعاب على هذا الفيلسوف أنه يضع لجميع الأعمال والمواطن على اختلاف أنواعها تفسيراً واحداً ، على حين أن الطبيعة قد منحت الناس مواهب خاصة وغيثاثر متعددة وأذواقاً متباينة وملكات مختلفة تسبق الفكر في كثير من الأوقات والحالات الى الحركة والعمل ، وجعلت لكل فرد طريقة يتبها في الوصول الى هدفه من الدنيا . وفي الحياة كثير من الناس يرتون عن أصولهم السذاجة الكريمة وصفاء القلب الجميل ، فليس لهم مبتغى ولا متمنى غير إسداء المعروف الى اخوانهم في الحاجة مخلصين . وهم يلاقون في سبيل ذلك عناء كبيراً ويصادفون أخطارا جمة ويقدمون على تضحية كثيرة يستمدون بها . وطريقتهم في الحياة هذه عزيزة عليهم ، يجدون فيها مثلهم الأعلى في الشرف والسعادة . وليس من الحق والانصاف أن يسمى الباعث على أعمالهم أثرة بالمعنى الذي يقصد اليه لاروشفوكو ويفهم عادة من هذه الكلمة وهذا الفيلسوف أيقورى كماصره (هوبز) (١)

(١) توماس هوبز ١٥٨٨ — ١٦٧٩ فيلسوف انجليزي نابه الذكر بيد الصورت . تعلم في أكسفورد ثم قام بتدريس الفلسفة لأحد أفراد أسرة كاتندينش الرقيقة النسب . ووزلر فرنسا فقامت بينه وبين ديكرات وجاساندي أوامر المودة . ثم زار ايطاليا وتعرف فيها الى جاليليو . واشترك في حركة بلاده السياسية ، وكان شديد التعصب للحكم المطلق . وقضى أعوامه الأخيرة في الريف مشتغلاً بالأدب والفلسفة ، وكتب تاريخ حياته شعراً . وفي شبابه كان مولماً بفلسفة أرسطو ، ثم صدف عنها ، ومال بارشاد (باكسون) الفيلسوف الانجليزي المشهور الى الفلسفة التجريبية ، ثم الى الفلسفة المادية التي كانت السبب في ريمه بالاحلاد . وله كتب كثيرة فلسفية ذهب له بها صيت وذكر . وقد تأثر بفلسفة ديكرات الرياضية وقال إن كل جوهر جسم وان كل ظاهرة مصدرها الحركة . وفلسفته هي للمادية في النظريات والمنفعة في الأخلاق ، والاستبداد المطلق في السياسة . وهو حتى كماكون يعتقد أن الحواس هي مصدر جميع المعارف البشورية . ويرى أن أسباب العمل اثنان ليس غير : البحث عن اللذة والمهرب من الألم . ويعتقد أن الفلسفة بأكلها تتجمع في دراسة الأجسام ، إذ ليس في الطبيعة إلا حركة واتداد . فالفلسفة هي دراسة الأجسام الطبيعية ، والأجسام الصناعية . ودراسة الجسم الانساني تتطلب المنطق ، وعلم الكائنات ، وعلم الأخلاق ، وقوامه المصلحة الذاتية : وينبئ الأجسام الصناعية وهي الجماعات السياسية بالجسم الانساني . ومنعجه النفي الأثر جملة بقر وجود « حالة بياوة » سابقة على حالة الاجتماع . وكل فرد في تلك الحالة كان له الحق في كل شيء . وينتج من ذلك أن الناس كانوا في حرب دائماً لتعدد مصالحهم الذاتية وتباينها . ثم أدركوا أن السلام أعظم خير لأنه يمكنهم من الاستمتاع بما يشتهون في دعة وهدوء ، فنصوا بمقتد جميع الحقوق رجلاً واحداً ، أي أنشأوا سلطة اشترطوا فيها القدرة على إقامة

على الأقل على أن مصدرها الفرور والكسل والخوف ليس غير ، مع أنها قد تصدر عن الشفقة وهي عاطفة عامة ، أو عن العطفية الكريمة التي تشرب بها النفوس المألمة الكبيرة . ولنضرب مثلاً : يوليوس قيصر الذي انتصر على بومبيوس في موقعة فارسال (من أعمال اليونان الآن) في عام ٤٨ قبل الميلاد ، وأسر كثيراً من عطاء عدوه ، فإنه عفا عنهم وكان في استطاعته قتلهم جميعاً . فهل يقول العقل إن هذا العفو مصدره الفرور ، والفرور هو الكبرياء الذي تنشئه في النفس الأعمال التافهة الهزيلة ، وانتصار قيصر على عدوه ليس من الأعمال التافهة ، أو يقول إنه صدر عن كسل وهو في مقدوره أن يأمر بالقتل فيطاع ، أو يقول إنه صدر عن خوف وهو متصبر قوى ؟ ولكن لاروشفوكو لا يجد في الإنسان طيبة نقية ، ومحرم علينا أن نؤمن بوجودها ، وهو يهر النظر بالضوء الذي يلقيه على رذائل الإنسانية ، ويلقى بالفضيلة في غللة تمجيبها عن الأبصار .

ولاشك في أن الرذيلة هي التي تسبب شقاء الناس ، وأن الفضيلة تهيب لهم أسباب السعادة . فكل فكرة ترمي إلى هدم الفضيلة لتقيم على أنقاضها رذيلة ، هي فكرة قاضية على سعادة البشر . والفكرة التي تقضى على سعادة البشر لا يمكن أن تشمل على حقيقة ، لأن صفة الحقيقة وعمليها أن تسمو بالنفس لا أن تنفسها ، وأن تشع الحياة في الجماعات الإنسانية لا أن تدمرها ، وأن ترهب الطغاة لا أن تشجعهم . وقد سبق القول إن هذا الفيلسوف صور نفسه وعصره ومواعظه . ورأيه في الرحمة يدلنا على ذلك أفصح دلالة ، لأنه ينطبق على سياسة الملكة آن دوريش . فإن هذه الملكة بعد أن ضحى لاروشفوكو في سبيلها كثيراً وشاكس ريشليو ورفض ما عرضه عليه من الرتب لإرضاء لها ، لم تحسن إليه بعد أن أقيمت وصية على العرش ، بل أحسنت إلى الذين كانت تحقد عليهم . وهؤلاء كانوا أتباع ريشليو ، فلما مات هذا الوزير وخلفه في الحكم صنيعته مازاران ، بسط عليهم جناح حمايته كسلفه ، فلم تجرد الملكة بدأ من مداراتهم بالرحمة التي ألهمت لاروشفوكو موعظته .

فهمه صادره

يتبع

غير التفاق ، يطل عليه الفرور ، ويمكن خلفهما الأثرة . ودلته التجربة على أن هذه الأثرة كما دقت واستخفت على الملاحظة ، كانت قوية حادة ، لأنه يجعل مقياسها مبلغ الشقة التي يعانيها الانسان في استكشافها .

ومن ملاحظاته التفصيلية الخاصة ، استخلص فكرته العامة عن الانسان ، وهي تلخص في أن المصلحة الذاتية تقوده في كل موطن ، وحب النفس يدفعه الى كل عمل . وصاغ هذه الفكرة العامة في تبيير دقيق : « تتلاشى الفضائل في المصلحة الذاتية كما تتلاشى الأنهار في البحر » (موعظة رقم ١٧١) . ولكي يكسبها الوضوح والجلال رجع الى ملاحظاته التفصيلية واختبرها ليثبت أن كل واحدة منها تدخل في حكمه العام . وهذا يدل على أن لاروشفوكو له أسلوب (مجموع المقدمات الصحيحة للموجزة الموصلة للحقائق) أو طريقة منظمة متناسقة متصلة الحلقات ، ومن يلق على مواعظه نظرة سطحية يراها مفككة الأجزاء مبثثة ، ويمتقد أنها ملاحظات بسيطة دونها صاحبها مصادفة تبعاً للظروف دون أن يكثرث لما سيكون لها من القيمة أو لما ستنتج من الأثر . ولكن القارئ الذي يعمق في التفكير يجدها متصلة بأقوى إيمان بالأثرة العامة الشاملة ، وأشدّه ثباتاً وعناداً .

وهذه الطريقة تلخص فيما يلي : الأهواء مصدر أعمالنا وأحساننا وعواطفنا ، وكل فضيلة تنفي في الأهواء التي يجاورها ، كل فضيلة تقرب غاية القرب من رذيلة وتخرج بها في ميدان العمل ، ولنا نطلق عليها اسم فضيلة بدلاً من الرذيلة المجاورة خطأ أو لإرضاء لكرامة غرورنا أو كبريائنا : « إن ما نصد فضائل ، ليس في أغلب الأحيان الامجموعة من أعمال متعددة ، ومصالح متنوعة يرتبها الحظ أو صناعتنا » (موعظة رقم ١) . فالرحمة — مثلاً — التي نؤمن بوجودها يقول عنها : « الرحمة التي يحسبها الانسان فضيلة ، تشمل أحياناً بدافع الفرور وأحياناً بدافع الكسل ، وفي أغلب الأحيان بدافع الخوف ، ودافعاً بدافع هذه الصفات الثلاث مجتمعة » (موعظة رقم ١٦) . ونرى من قوله أن كل عمل من أعمال الرحمة يتلاشى في إحدى الرذائل المجاورة أو يتلاشى فيها مجتمعة ، كما يتلاشى النهر في البحر . وهذه الجملة « التي يحسبها الانسان فضيلة » تدل على أن الرحمة ليست في ذاتها فضيلة ، أو

العلوم

الفكرة الذاتية والفكرة الموحاة

للدكتور عبد الفتاح سلامة

قد يلعب الانسان النرد مع صديقه للتسلية ولتضية الوقت ، ولكنه قد يفاضل صديقه هذا فيخالطه في أثناء اللعب لأجل أن يكسبه . وقد يجلس الانسان في المقهى فيرى عادة حسناء فيوسوس له الشيطان أن يتبعها ، فيحول الضمير دون ذلك وينسى كل شيء عنها ، ولكنه بعد قليل قد يجد نفسه سائراً في نفس الطريق وقد يلحق بها .

وقد يدخل الانسان في بيت ما فيجد سلعة جميلة صغيرة فيود لو تكون له ثم ينسى أيضاً كل شيء عنها . ولكنه بعد خروجه من البيت يضع يده في جيبه ولدهشته ودهشة العالم معه قد يجد هذه السلعة فيه .

فالفكرة الذاتية اللاشعورية عن وجوب الكسب هي التي جعلته يفاضل صديقه برغم وجود فكرة شعورية عنده عن وجوب اللعب لمجرد التسلية وبدون اهتمام للنتيجة . والفكرة اللاشعورية الخاصة باتباع الفتاة هي التي قادته للسير في هذا الطريق برغم احتجاج الضمير واستنكاره . والفكرة اللاشعورية الخاصة بامتلاك تلك السلعة هي التي دفعته إلى أخذها . وهكذا يبدو أنه إذا كان اللا شعور ليس عليه إلا أن يرغب فإن الشعور عليه أن ينفذ هذه الرغبة . وهذه هي القاعدة في الانسان . ولكن كيف يتسنى لهذا الشيطان أن يعلى رغبته على الشعور وكيف يتسنى للشعور أن ينفذ هذه الرغبة مع وجود الضمير القوي والعقل المميز للوزون ؛ انه يلجأ في هذا السبيل الى الحزن والتنقيص على الشعور فيضطرها الى تنفيذ ما يريد . والحزن سببه عدم التمكن من تنفيذ الرغبة أو تخيل عدم إمكان تنفيذها ، والحزن يختلف من مجرد شعور بعدم

السرور الى اقباض مستمر ، وفي نهايته العظمى يكون الحزن المرضي للمسمى بالسوداء melancholia . ففي مثلنا الأول يجلس الانسان للعب وعنده رغبان كما قدمنا ويتبدى في تنفيذ الرغبة الشعورية أي اللعب لمجرد التسلية وعدم الاهتمام للنتيجة حتى اذا ما خانه الحظ وعرف أنه سيخسر الدور فإن الرغبة اللاشعورية - حب الكسب - تجرد نفسها على وشك عدم التنفيذ فيتبدى مريح اللاعب يقل شيئاً فشيئاً ، ثم يتبدى أن يكون لبه آلياً أي بدون تفكير منتظم فيشعر الانسان بالضيق فيضطرب بعد ذلك أن يجد له مخرجاً يقضى به الرغبة اللاشعورية التي سببت له هذا الضيق . وقد يكون هذا المخرج عن طريق النكته والفكاهة وهذا من شأنه أن يقلب وضع الأمور فيخيل للغلوب أنه غالب ، وقد لا يكتفي للغلوب بهذا التخيل فيخالط إذن في اللعب عن قصد وغير قصد . وهو إذ يخالط قد يعمل ذلك أيضاً على سبيل النكته والفكاهة . والشعور في عمله لازالة ما قد يشعر به الانسان من ضيق يرضى الرغبة اللاشعورية فيشعر الانسان بالسرور والفرح . ويرضى كذلك الضمير لأنه إنما يخالط لأجل الضحك والسرور ولا حرج عليه في ذلك . فبالحزن إذن يسيطر اللا شعور على الشعور ويضطرها الى تنفيذ ما يريد . وهذه هي طريقة اللا شعور السحرية في إملائه لرغباته . أو هذا هو عمل الشيطان في وسوسته لما يديه . ولعمري لو كان الشيطان جسماً مستقلاً عن جسم الانسان ولم يكن ممثلاً في العقل الباطن فإن هذا العقل هو صلة الاتصال بينه وبين الانسان .

وفي مثلنا الثاني نجد أن صاحبه بعد أن أمره ضميره بالجلوس عاقلاً مؤدباً ما لبث أن شعر بالقلق في جلسته وسرعان ما فكر في منادرة المكان ، ولكنه لا يعلم سبب قلقه هذا ، لأن الضمير قد طرد الفكرة اللاشعورية من الشعور ، أو بمعنى آخر فإن الضمير كان سبباً لنسيانه كل شيء عن هذه الفتاة . ولا يكون هناك بعد هذا النسيان ما يبرر منع السير في هذا الطريق لو تذكر الانسان

اللاشعور بما يوحى اليه تمام الاعتقاد . ويرسله الى الشعور ليتولى تنفيذه .

ولما كان الايحاء لا يمكن أن يثمر إلا في وجود الاعتقاد ، وكان الاعتقاد أيضاً متوقفاً على العوامل المختلفة السالفة الذكر فانه من الواجب أن تكون شخصية للموحى بعيدة كل البعد عما يسبب الرية أو الشك ، وأن يكون هو نزهاً بزن كل كلمة يقولها ، وأن يكون صالح المريض أول ما يرمى اليه ، ونحن اذا أردنا سهولة التعبير وتوخينا إظهار ما نسدده على وجه عام فانه يمكن القول بأن الايحاء هو وضع أفكار أمام العقل على أمل قبولها والاعتقاد في صحتها . وهي لذلك تأخذ مجرى عكسياً لمجرى الأفكار الذاتية لأنها تبدأ في الشعور أو التمييز ثم تذهب بعد ذلك الى اللاشعور اذا لم نجد ما يمنع دون الوصول اليه .

وقد يكون الايحاء من أشق الأمور اذا وجدت أفكار ذاتية تخالفة أو تشك فيهِ ، ويكون من أسهل الأمور اذا وجد من الأفكار الذاتية ما يمززه أو ما لا ينقضه . والايحاء موجود في الحياة العملية ، وقد يكون الموحى أى إنسان مهما يكن مركزه أو عمره . فقد يجتمع اثنان ويندى أحدهما بإحبابه بشيء معين وقد يكون على حق ، ولكن سرعان ما يغير وجهة نظره بعد ملاحظة صغيرة من رفيقه فيبدو له قبيح ما كان يعجب به ، وقد ينقم انسان على نفسه لتصرف يعتبره خاطئاً ، ولكن سرعان ما يعد ذلك التصرف عادياً بعد مواساة صدقه . وقد يكون من الأصوب تسمية ذلك النوع من الايحاء إيهاماً ، لأن الأفكار الموحى بها كثيراً ما تكون مخططة . وترك كلمة إيهام للأفكار الصحيحة التي لا تخضع للشك . وعلى كل حال فان الأفكار الموحى بها سواء أكانت صحيحة أم خاطئة فانها تتبع نفس الطريق . أى انها تسير من الشعور الى اللاشعور حيث يحتويها ذلك الأخير فتصبح كأفكار الذاتية ويعتقد بها الانسان تمام الاعتقاد

والمكروه سواء أكانت ذاتية أم موحاة ، تتحول في اللاشعور من مجرد تخيل الى حقيقة متخيلة ، وترسل على هذا الاعتبار الى الشعور فيتولى تحويلها من حقيقة متخيلة الى حقيقة فعلية ، أو بمعنى آخر من فكرة الى فعل (من idea الى action) وهكذا يكون التخيل من عمل اللاشعور ، وتنفيذ التخيل من عمل

لشعور قضاء حاجة معينة فيه . وهكذا تلجأ النفس الى فكرة شراء شيء معين أو مقابلة شخص معين في هذا الطريق بالذات . فيقوم الانسان من مكانه سائراً في الطريق الذي أراده اللاشعور ويحول القلق الذي سببه إذن هذا الأخير عند ما منع عن تحقيق رغبته التي أبدتها .

ومع أن اللاشعور يسبب للنفس المتاعب من جراء عدم تلبيةها لطلباته فيضطرها الى إجابتها . فانه كالطفل الذي قد يفتنق من تحقيق رغبته بالأوهام دون الحقيقة الواقعة . وهكذا نرى في مثلنا الأول أن اللاشعور قد اكتفى بالنكتة والفكاهة دون تحقيق الكسب نفسه . وفي مثلنا الثاني ولو أن صاحبه سار في نفس الطريق الذي أراده اللاشعور إلا أن الفرض من السير قد التوى عليه .

ذلك هو اللاشعور ، وقد رأيت أنه الطفل الذي يبش في الأوهام أو هو الشيطان الذي يحاول أن يخرج الانسان من الحقائق الى عالم الخيال . وقد نجح فعلاً في هذا الأمر أى نجاح سواء مع المرضى أو مع الأصحاء . وهل نرى في العالم شيئاً غير الخيال في كل مكان ؟ فالمرضى العصبي مريض لأنه تخيل المرض . ويقوم الانسان من نومه معللاً الآمال على ما وجد في رؤياه من تحقيق أمل يرقبه أو النجاة من مكروه يرهبه . ويستبد الشعراء منه الخيال فتكون الاستمارة والتشبيه والتورية . ويستمد الروائيون منه والفنانون كل دقائق الفن ومعجزاته ، فالثال لم يعمل إلا أنه رغب فتخيل لجسم خياله . وحقق رغبته تحقيقاً رمزياً . وهذا مما يدل في ذاته على أن ذلك الطفل الذي يتدرج بالحزن للحصول على تنفيذ رغبته مع انه قد يقنع بالتحقق الجزئي أو الرمزي لهذه الرغبات ، قادر كل القدرة على السيطرة على النفس لأنها تريد أن تتعاشى غضبه فتتغذله ما يشاء . فهل يمكن بعد ما تقدم أن نستخدم هذه القوة لعلاج بعض الأمراض ؟

في الامكان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب ، وذلك بواسطة طرق الايحاء المختلفة ، وسنرى فيما يلي كيف يمكن التغلب على هذا الشيطان واستخدامه في أغراض علاجية كثيرة . وإنا نود أن نشير أولاً الى أن قوة الايحاء تتوقف على عوامل شتى . وأهم هذه العوامل ما كان بفعل المودة والمحبة والتقدير لأنه بسببها يمتد

الشعورية ليست الأثر أو دليلاً على وجود مشادة لا شعورية .
والإيماء إذا عمل قبل الكشف عن هذه المشادة الأخيرة قد
يخفف من وطأة المرض العصبي مؤقتاً ولكنه يزيد من فعل الضمير
في كبح الرغبات والأفكار الذاتية وضمعتها ، وذلك يؤدي
إلى نتائج غير مرغوب فيها . فمعرفة المشادة اللاشعورية في هذه
الأحوال وتحليلها هو من أهم الأمور أولاً ، ثم يأتي الإيماء بعد ذلك
بأفكار جديدة سامية وتحليلات ممكنة معقولة . ولهذا نرى فرويد
في كتبه يقول إنه لا يميل إلى إيماء أي فكرة إلى المريض بل يجب
تركه ليكون لنفسه من الأفكار والتقدير ما يراه مناسباً لها ، فهو بعد
الكشف عن المشادة يكون قد شفي من مرضه . وإذا كان المريض
لا يزال في حاجة إلى الإرشاد فقد يوحى إليه في بعض الأفكار
والتل العليا .

ولما كان كرويه يعتقد أن وجود الإرادة من شأنه أن يزيد في
عناد التخيل وتشبته بتنفيذ رغبته فإتينا نجده يعمل لازالة التمييز
وهو محل الإرادة من مرضه قبل إيماء أي فكرة إليه ، وذلك
بواسطة أربع تجارب ثبت للمريض مقدار تأثير التخيل على
الإنسان في غياب التمييز . وهو بعد أن يقتنع بقوة التخيل هذه
يطلب إليه أن يستخدمها في شفاء نفسه ، وذلك بأن يتخيل الشفاء ،
ولكنه بالطبع لا يطلب إليه أن يقول إنه يتخيل الشفاء ، بل أنه
شفي من مرضه وأن مرضه لن يعود .

وهناك طريقة أخرى للإيماء وهي أن يكرر المريض جملة معينة
في أوقات مختلفة من النهار ولمدة طويلة ، وهذه هي الطريقة التي
يتبناها في أمريكا Herbert A. Parhyn وهي كثيراً ما تنفذ في بعض
الأحوال ، لأن التمييز إذا عارض الفكرة الموحى بها في أول الأمر
لا يلبث أن يتعرض لها بنقض أو شك فيما بعد فتصل في
النهاية إلى اللاشعور وهو مركز التخيل كما قدمنا حيث تخرج منه
حقيقة واجبة التنفيذ .

أما الإيماء بالتنويم فلا شك أن الفكرة الموحى بها تصل إلى
اللاشعور دون أن يقف في طريقها أي حائل . ذلك لأن التنويم
يعتقد في التنويم القدرة الفائقة والإرادة القوية ، وهو لذلك يأخذ
منه الأفكار دون أي مناقشة أو شك فينفذها الشعور بعد قيامه
من النوم في الوقت المناسب . وهذه الطريقة ينطبق عليها ما سبق

الشعور . والشعور مع هذا ليس آلة ميكانيكية لتنفيذ تخيلات
ورغبات اللاشعور ، بل أنه قد يرد بعض هذه التخيلات إلى
اللاشعور لمدم ملاءمة تنفيذها وهنا تحدث المشادة بينهما .

فاذا أمكن اتعاق مريض عصبي بأن يده للشلولة قد شفيت
تماماً فإن فكرة الشفاء هذه تتحول في اللاشعور إلى حقيقة متخيلة
أو بتعبير أدق إلى حقيقة نفسية . وترسل على هذا الاعتبار إلى
اللاشعور حيث يتولى إثبات هذه الحقيقة بإخراجها من حيز التخيل
إلى حيز الفعل فيأمر العضلات أن تنقبض ، وهكذا تتحرك اليد
ويتحقق الشفاء للوحى به . والمريض العصبي لا يعرض إلا إذا تخيل
المرض ولا يشفي إلا إذا تخيل الشفاء

وهناك قانون آخر كشف عنه كرويه (Caué) وهو أنه إذا
حدثت مشادة بين الإرادة والتخيل أو بين التمييز من جهة
واللاشعور والشعور من جهة أخرى ، فإن النسبة تكون دائماً
للتخيل على الإرادة . فشارب الحار أو اللخان عنده إرادة قوية
تحاول منعه من تعاطيها ، ولكن تخيله احتياجه إلى الشرب أو
التدخين يقهر الإرادة عنده ويستمر في التعاطي . وهكذا نرى
كرويه يتحدث عن المشادة وهي تقرب من المشادة التي يتكلم عنها
فرويد بين اللاشعور والشعور ، ولو أن مشادة كرويه شعورية
ومشادة فرويد لاشعورية أو تكاد . ولهذا أشار هذا الأخير بتحليلها
ومعرفة أسبابها وعرض نتيجة ذلك على التمييز لبيت فيها بصورة
معقولة ، أما كرويه فإنه لما كانت المشادة التي يتحدث عنها شعورية
فهو لا يحتاج إلى تحليل ، بل يقول أنه مادامت الإرادة ضعيفة
بالنسبة إلى التخيل فيجب وضع تخيل جديد أمام العقل يكون من
شأنه أن يقلل من قيمة التخيل الأول الذي يتعارض مع الإرادة .
وهكذا تبطل المشادة ويشفي المريض ، وهو يضع التخيل الثاني
بواسطة إيماء لا يكون فيه ذكر للإرادة ، فيطلب إلى مريضه أن
يقول (لقد تحسنت صحتي وأنا في طريق الشفاء) لا أن يقول
(أريد أن تتحسن صحتي وأريد أن أشفي)

وإذا قال أتباع نظرية فرويد بأن المرض يخفى بالإيماء ليحل
محل مرض أخف أو أشد منه . أجب أتباع كرويه بأن من الممكن
عمل إيماء تام يشمل جميع الأمراض ، والواقع أن هذا إذا نجح في كثير
من الأمراض فإنه يعجز عن شفاء الكثير منها أيضاً ، لأن المشادة

الأمراض بالطلاسم والرقق والبخور، وهذه هي الأشياء التي نسميها الآن شعوردة وتدخيلا ، مع أنها بدرسة فائمة بذاتها بتعاليمها وتلامنتها وأسانتها الخ . . . والواقع أنها كانت في العصر القديم لها من الأهمية بالنسبة اليه مالا يخفى في العصر الحاضر من أهمية بالنسبة اليها . والفرق بين طريقة اليوم وطريقة أمس هو أن الشخص الذي يقوم بالايحاء الآن رجل متعلم يعمل بوزع من ضميره الانساني النبيل ويوحى الي مرضى مثقفين أيضاً يعرفون قيمة ذلك الايحاء ويعرفون أن قوة الشفاء موجودة في أنفسهم اذا أمكنهم أن يتخيلوا الشفاء أو اذا أمكنهم أن يتحكموا في تخيلهم . وهكذا نرى أننا بعد أن وصلنا الى هذه الدرجة من المدنية والعلم قد رجعنا الى الطرق التي كان يعالج بها في الأزمنة القديمة والتي لا تزال نرى بقاياها . والتاريخ يعيد نفسه ، فالمرضى يشق في العصر الحاضر اذا أوحى اليه بالشفاء فتخيل الشفاء . وفي العصر الغابر كان يذهب الى شيخه فيوحى اليه بالشفاء باذن الله على شرط أن يحمل حجاباً أو يحرق بخوراً . وهو بعد أن يفقد هذه الشروط يتخيل الشفاء فيتم له . وقد تكون هذه الطريقة القديمة أجدى وأنفع للإنسان لأنها تجعله يضع ثقته في خالقه تعالى فيستمد من هذه الثقة كل معاني القوة والاطمئنان والراحة واللواصاة . بدل أن يضعها في نفسه وهو كثيراً ما يشعر بضعفها .

وقد يساعد الايحاء أو الايهام على استفحال الداء، وذلك اذا كانت الفكرة الموحاة مخطئة كما يحدث في بعض حالات السل . ذلك لأن لفظه (سل) مخيف عند الكثيرين الذين يعتقدون أنه لا سبيل الى شفاء المريض به ، وبمجرد معرفة احدهم بأن هناك شكافي تشخيص مرضه من هذه الناحية لا يلبث أن يعتقد بأنه مريض بهذا المرض فيتحقق له اعتقاده ويستفحل الداء ويسير به الى الهلاك بخطى سريعة واسعة . ومع ذلك فمن مناسلت رثائه من هذا المرض ؟ وكم رثه اذا شرحت وجدت خالية من التدرن أو من آثاره ؟ فالسل مرض قابل للشفاء مالم يعتقد المريض بخلاف ذلك .

عبد الفتاح سلام

أن تكلمنا عنه بصدد الايحاء بطريقة كرويه . أى أن الاعراض تختفي لأجل أن يظهر غيرها ، وأن الضمير يشتد في الضغط على رغبات الانسان اللاشعورية بدل أن يسمح لها بالثول أمام الشعور بالتمييز لمناقشتها . هذا الى أن شخصية التأم تصبح ضعيفة تتأثر بأي فكرة يوحىها أى انسان ، لأن اللاشعور عنده قد كبر على حساب عقله المميز .

أما قيمة الايحاء العلاجية فإنها تظهر من استمرار بعض حالات تمكن كرويه من شفاؤها شفاء تاماً . ومن الغريب أن بعض هذه الأمراض لا يمت الى الأمراض العصبية بصفة ما . مثال ذلك أنه تمكن من شفاء صبي عنده التهاب في عضلات القلب وهبوط قلبي يش أطيأ مشهورون من شفاؤه . وقد تمكن أيضاً من شفاء الزلة الرحية والزيغ بالايحاء ، ولندكر القصة الآتية التي تكلم عنها البروفسور بودوان . فقد حدث أن مريضاً يشكو من نوبات ضيق التنفس (asthma) بات ليلة في فندق واتبته النوبة ليلا فقام فرعاً يريد فتح النافذة يلتمس منها هواء تقياً ولكنه بسبب الظلام وللحالة النفسية التي كان بها اذ ذلك لم يتمكن من العثور الا على لوح زجاجي تخيله جزءاً من النافذة فصره بيده وكسره ، وعند ذلك ذهب عنه النوبة ونام مستريحاً . وعند ما يتقظ في الصباح وجد أن خادم الفندق كتب له ورقة بأن عليه أن يدفع عن زجاجة ساعة الحائط التي كسرها . إذن فالذي أقتنه من نوبته ليس دخول الهواء النقي بل هو مجرد تخيل دخول هذا الهواء ، لأنه كسر زجاج الساعة بدلا من أن يكسر زجاج النافذة . وقد ذكر الأستاذ بودوان أيضاً أن زوجة رأته وهي حامل اصعباً قبيحة الشكل فلستاءت منها وأصبحت صورتها لا تفارق تخيلها فوضعت هذه الزوجة طفلاً بأصبع مماثلة لتلك الاصبع القبيحة تماماً ، وفوق ذلك فالتنا نرى كرويه يقول إن المرأة يمكنها أن تلد مائشاء من ذكر أو أنثى ومائشاء من محاسن وصفات اذا تخيلت ورغبتها طول مدة الحمل

وليس هذا الأمر بغريب علينا نحن الشرقيين فالتنا كثيراً ما نسمع عما يسمونه (الوحم) هذا فيما يتعلق بتأثير الايحاء على الجنين ، أما تأثيره على الشفاء من المرض فليس هذا بغريب علينا أيضاً لأننا كثيراً ما نقرأ في الكتب القديمة عن شفاء بعض

بين الدين والعلم كتاب عن فساد الداروينية

كان من نتائج الحرب العالمية الماضية طغيان موجة الكفر والاحاد ، والمذهب الدهري الذي شعار أنصاره : « تموت ونجيا وما يهلكنا إلا الدهر » ؛ وزوال فكرة الألوهية من بعض الرؤوس الصغيرة والأحلام الضعيفة . ذلك بأن الناس تناحروا وتطاحنوا في الحرب ، ثم لما رأوا أهوالها جملاوا يضرعون الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ دماء الباقين منهم وينجهم من شر الخبأ لهم في عالم التيب كما يقول شحاذونا . فلما لم يسمع لهم نادوا بالكفر ، وطلقوا البقية الباقية في صدورهم من الايمان ، فكان هذا الاستهتار وكانت هذه « الكلية » التي رانت على القلوب وبلنت أعضائها في روسيا البلشفية

لكن يظهر أن رد الفعل هذا سيعقبه رد فعل آخر من الجهة المقابلة ، ويميد الناس الى صوابهم مرة أخرى . ففي كل بلد من بلاد أوربا يقظة دينية ، وفي كل قلب ندامة ، وفي كل ضمير شيء من الوخز يبشر بانتعاش الايمان من إغماء كان يخشى أن يكون طويل الأمد ، وأن ينتهي بموت الأبد ، وييقظته من سبات كان يخشى أن يكون دائماً ، وأن يليه مرض خبيث كمرض النوم لا يخلص صاحبه منه إلا الموت

لكن أغرب من هذا كله أن يقوم من يقول لنا إن أعظم حوادث القرن العشرين فقد الناس لإيمانهم بالعلم بعد عودة إيمانهم بالدين ، وكما أن العلم هد أركان الدين في بعض البلدان وفي خلال القرن الماضي ، كذلك ترى الأديان الآن تنتقم من العلم بتقويض أركانها ، والبناء على أطلاله . فقد أعطانا العلم الحرب العالمية بنفطاتها وأهوالها ، فضربت أركان الدين ضربة شديدة ، ولكنها ضربت العلم ضربة أشد منها

قال أحد الكتاب : لما أعلن اينشتين مذهب النسبية الذي قلب به مذهب نيوتن ، قلت في نفسي . ومن يدرينا متى يقوم مذهب من نوع سور اينشتين يقضى على مذهب اينشتين ؟

ظهر بالأمس كتاب جديد عنوانه « هذا التقدم — مأساة مذهب النشوء » أي مذهب داروين الذي ينكر الخلق الفجائي ، ويقول إن أنواع الحيوان والنبات حتى الانسان متسلسل بعضها من بعض ، وإن بيننا وبين القردة لذلك لحة نسب وصلة قرابة . ولا يزال مذهب داروين ناقصاً ما يسمونه « الحلقة المفقودة » التي تثبت قرابة الانسان للقرد ، وما دامت مفقودة يبقى مذهباً ، ويبقى لذلك خارجاً عن دائرة اليقينيات المثبتة إذ يموزه البرهان ومؤلف هذا الكتاب عالم انجليزي اسمه الكبتن اكرارت ، وهو يقول فيه : ان الداروينية كذبة كانت السبب الأول في تدهور الحضارة الغربية ، بانياً حكمه هذا على اكتشافه وبرهن فيه على أن نشوء الطيور خرافة لا كما يقول للمذهب الدارويني وقد عرض المؤلف فكرته التي بنى عليها مؤلفه على بعض أصحابه النشويين فأقروه عليها ، ولم يستطع أحد منهم أن يبين وجه الخطأ فيها وهزأ في كتابه ببعض الآراء الشائعة بين علماء الطبيعة عن النور ونهاية الفضاء والأثير والفراغ والسديم

وأبان في كتابه ان النشويين لم يهتدوا بعد الى الحلقة المفقودة التي تصل الانسان بالقرد كما يزعمون ، مع انهم قبلوا بطن الأرض يحثون عنها ، ولكن الجيولوجيا تضحك من مجتهد عن شيء لا وجود له . وقد اعترف داروين نفسه في زمانه بأن « الجيولوجيا لا تؤيد وجود تلك السلسلة الدقيقة المتدرجة التي يتطلبها فاموس النشوء نفسه » بل بالضد من ذلك تثبت ان الداروينية غير صحيحة ، لأن وجود بقايا الحيوانات في الصخور لا يمكن تعليقه بأي مذهب من المذاهب ، فان عظام الفرس مثلاً كانت موجودة في قلب الصخور قبل ظهور ما زعموا انها أسلافه لا بعد ظهورها وقد هدم مندل بناموسه عن الوراثة فاموس الانتخاب الطبيعي الذي هو أساس الداروينية . ويقول للمؤلف ان الداروينية زعزعت أسس الدين ، فلو أمكننا التخلص منها لمهدنا الطريق الى إحياء الايمان بالخالق . وان من الغرابة بمكان أن يبني الناس زعزيع إيمانهم بالله مدة قرن كامل أو نحو ذلك على مذهب لم يثبت بالبرهان ولا يمكن اثباته .

فالإيمان بالله أسهل كثيراً من الايمان بخدع العلم وأوهامه .

القصص

النفس الرقيق...

لايفان بونين

ترجمته ع. الحمري

في القبرة فوق أكمة نضرة مخضرة صليب جديد مصنوع من خشب البلوط، قوى ثقيل، ثابت راسخ، ناعم الملمس، بهيج النظر. وكان الشهر ابريل، ولكن الأيام غائمة كالحلة. فكنت ترى من مراحل شاسعة خلال الأشجار الجرداء شواهد الأحداث قائمة في القبرة - مقبرة رجة ريفية أو أكبر من الريفية بعض الشيء - والريح الباردة القاصفة تصفر صغيراً خيفاً كلما مررت من تجاويف الأكليل المصنوع من الخرف الصبني عند قاعدة الصليب. وفي الصليب نفسه ركب اطار مستدير من النحاس الأصفر. وفي الاطار صورة لفتاة حسناء فاتنة من طالبات المدارس، مهندمة اللبس، لها عينان فرحتان براتقان تمان على الحياة والنضارة

هذه الصورة هي صورة (أولجا مسجرسكي)

لما كانت بنتاً صغيرة لم يكن لها ما يميزها في ذلك الجمع الصاحب من ذوى الأتواب السمرء الذين كان لفظهم للتناقر يدوى في لبهاء المدرسة وصفوفها. وكل ما كان يستطيع الانسان أن يقوله عنها هو أنها ليست إلا واحدة من هؤلاء الفتيات الكثيرات الجميلات السعيدات، وانها ذكية، لكنها لعبت كثيرة الحركة، لا تصنى لما يلقى عليها اللع في الصف من دروس. ثم صارت الى النمو، وأخذت تتفتح أكمامها لا بالأيام بل بالساعات. وفي من الرابعة عشرة، وقد أصبح لها خصر أهيف، وساقان جيلتان

متسقتان، برزنهاها ولاحت عليها تلك الرسوم والملاح البدالة على النضوج، ولم تستطع لفة البشر بمد أن تصف فتنها وسحرها. وفي سن الخامسة عشرة قيل عنها إنها حسناء... وكم كان أربابها ورفيقاتها في المدرسة شديداً العناية بتنظيم شعورهن، وكم كن نظيفات محترسات في حركاتهن! ولكنها ما كانت لتخشى شيئاً فهي دائماً نظيفة الثياب حسنة الهندام، متوردة الوجه من غير قصد منها ولا عناء من جانبها، اجتمع لها في سنتها الأخيرتين كل ما يميزها من باقى المدرسة، اجتمع لها الظرف والاناقة وخفة الروح واشراق الطلعة وبريق الذكاء... ذلك الى أن أحداً لا يستطيع الرقص مثل (أولجا مسجرسكي)! ولا يستطيع العدو أو الازلاق مثلها! ولسبب ما لم تكن لأحد تلك الألفة التي كانت لها مع صفوف الصغار والاحداث في المدرسة. ومن غير أن تشعر أصبحت فتاة، ومن غير أن تشعر ذاعت شهرتها في المدرسة. ولم يمض قليل حتى أخذت الألسن تلوك عنها الاحاديث بأنها نزقة متقلبة لا تستطيع أن تحيا بغير عشاق، وأن التلميذ (شنسين) مدله في حبها مأخوذ بجبالها، وأنها هي أيضاً لعلها تحبه ولكنها لكثرة قلبها وسوء معاملتها جعلته يحاول الانتحار

غيرة مرة ..

في خلال شتاها الأخير جن جنونها بذلك ابغضت من السعادة الذي غمرها... كذلك قالوا عنها في المدرسة... وكان هذا الشتاء مثلجا قارساً تنزل الشمس فيه مبكرة وراء الأيكة الكثيفة من أشجار الشربين الباسقات خلف بستان المدرسة المكسوة بحلج من الثلج الناصع. ولكن الجو كان رائماً باماً على الدوام، اليوم تلج وغدا شمس. نزهة

شعرت في نفسها بسورة من النضب : (انك لم تمودى الآن بنتاً صغيرة)

فأجابت اولجا في سداجة يئلب عليها الجبور . (نعم . سيدتى !)

قالت الرئيسة ولا يزال في لهجتها معنى تقصده ، وتعمد اللامع اليه (لكنك لم تصبحي امرأة بعد) واحمر وجهها الشاحب بعض الحمرة وقالت (خبريني أولاً : لماذا تصفنين شعرك بهذا الشكل ؟ انك لتصفينيه كالمرأة) .

فأجابت اولجا (ليس من ذنبي يا سيدتى أن يكون شعري جميلاً) وأمسكت شعرها النظم الجميل بكتنا يديها وبشكل لا يخلو من دلال .

قالت الرئيسة (أحقاً ما تقولين ؟ أسمح أنه لا لوم عليك؟— ألا تلاميذ على الطريقة التي تنظمين بها شعرك ؟ ألا تلاميذ على هذه الأمشاط النالية ؟ ألا تلاميذ اذا أقرت أبويك باقتناء حذاء بشرين رويلا ؟ ولكني أكرر القول بأنه قد غاب عن بالك انك لا تزالين طالبة ليس إلا) . وهنا قاطمتها أولجا فجأة بأدب ومن غير أن تفقد شيئاً من بساطتها وهدوئها قائلة (عفواً يا سيدتى انك خاطئة ، انني في الواقع امرأة ، وهل تلميذ من يلام على ذلك ؟ انه صديق أبي وجاره أخوك (الكسي ميكالوفتش) ... وقد وقع ذلك في الريف في الصيف الماضي) .

بعد هذا الحوار بشهر أطلق ضابط من أجيلاف القوزاق سميج أخرق ، في هيئة السفلة من الرعاع والأفاقين ، على أولجا عياراً نارياً أردادها قتيلاً وهي في جمع من الناس على رصيف المحطة وقد وصلوا توأ بالقطار . وهكذا تحقق بهذا الحادث اعتراف (اولجا) الذي صمق الرئيسة . فقد قال الضابط للمحقق ان (مسجرسكي) قد أخرجته عن وعيه ، وأنها فيما مضى كانت لها به صلة من صلات العشق الخفي ، وأنها وعدته بالزواج منه ، وفي محطة القطار في يوم مقتلها عند مارآته يغادر المدينة الى (نوفوجر كاسك) أخبرته بقتله بأنها لن تفكر

قصيرة في شارع الكنيسة . انزلاقة في منزله المدينة . غروب وردى دافئ ؛ موسيقى ... ثم ذلك الجمع الدائم الحركة الذي كانت (أولجا) تلوح من بينه أخفه روحاً وأشدّه نزقاً وأوفره سعادة . وفي ذات يوم بينما كانت مندفعة كالأعصار في غرفة الألعاب تعدو في أثرها الفتيات الصغار يصرخن ويهتفن مبتهجات استدعتها رئيسة المدرسة على حين غرة . فوقفت بقتة وتنفست نفساً عميقاً ثم ربت شعرها وسحبت أطراف مئزرها كي توصله الى كتفها . وبينين مضيئتين هزعت الى فوق . كانت الرئيسة صغيرة السن ، لكن شعرها كان أبيض ، وكانت جالسة يهدوء الى الطاولات تحت صورة القيصر وفي يديها نظريز قد انكبت عليه واستقرت فيه .

قالت الرئيسة بالفرنسية دون أن ترفع عينيها عن التطريز (عمى صباحاً يا « مس . مسجرسكي » — انني آسفة لأن هذه ليست المرة الأولى التي اضطرت فيها لاستدعائك الى هنا لأكلك في سلوكك) فأجابت (اولجا) — لقد أخذت بارشادك أيتها السيدة — قالت ذلك وهي تقترب من المنضدة تنظر اليها باسراق باد وسرور ظاهر ، وفكر شارد ، ولم تؤد اليها من التحية إلا طرفاً ضئيلاً ظريفاً هو كل ما تستطيع تأديته من التحيات .

قالت الرئيسة « انك لم تسمى ما أقول — وقد اقتنعت وأأسفاه بهذا » قالت ذلك وسحبت الخيط سحبة تدرجت لها كرة الخيوط على البلاط الصقيل اللامع ، وتبتمها اولجا بنظرة مستظلمة . ثم رفعت الرئيسة عينيها اليها وقالت « سوف لا أكرر ما أقول . سوف لا أكثر من القول » .

راق (اولجا) غرفة المطالمة هذه ، وراقها نظائرها الغربية واتساعها غير المؤلف . وأعجبها زمايق الورد الجنية الزاهية التي كانت موضوعة في زهرية فوق المكتب . جلت بنظرها الى القيصر الشاب وقد صور بكامل جسمه في بهو فاخر ، ولبتت ساكتة لا تنبس بمنت شفة .

قالت الرئيسة في لهجة تدل على معنى مقصود منها . وقد

والحسين ، الا أنه لم يزل وسياً جذاباً . حسن الهندام دائماً — والشئ الذى أنكرته عليه هو أنه جاء اليوم متلفعاً معلقة تفوح منها رائحة عطر انكليزى ولا تزال عيناه عيني شاب يافع . لحيته طويلة مسترسلة . مفروقة في وسطها فرقاً جميلاً — هي فضية لامعة . تناولنا الشاي في الشرفة الزجاجية ، وشمرت بفتة أن وعكا خفيفاً عراقى فاستقيت على السرير وظل هو يدخن . ثم جلس بقرني وشرع يقول أقوالاً لذيذة ، فيها متعة ، وفيها ما يستثير كل من الوجد ومكبوت الهيام . ثم تناول يدي فطبع عليها قبلة حارة . . . جعلت من مندبلى الحريرى الكبير سترأ أسدته على وجهي ، وجعل ينهال بالقبلات إثر القبلات من فوق المندبل على شفتي . . . لا أدري كيف وقعت الواقعة ! لا أستطيع أن أقول كيف حدثت ، قد جن جنوني . . . ما كنت لأحلم يوماً أنني أكون كذلك اللحظة . . . والآن لا أشعر نحوه بغير شيء واحد : الاشمئزاز الذى لا قبل لي بحمله . أواه ! ما أشد ما تار في نفسي بعد ذلك من المقت له !!

المدينة في هذه الأيام من ابريل نظيفة تقيّة ، قد ذهبت بأذنانها وأقذارها أمطار الشتاء ، وبدت حجارها بيضاء ناصعة ، وأصبح السير فوقها محبياً شبيهاً . . . في كل يوم أحد بعد القداس ترى في شارع الكنيسة المؤدى الى خارج المدينة امرأة قنينة ضئيلة الجسم تلبس الحداد ، في يديها قفازان من جلد المعز الاسود ، تحمل مظلة مقبضها من الأبنوس ، تراها تسير في الشارع وما تنتهي منه حتى تجوز ساحة ، ثم تسير السوق المهذمة حيث الحدادون الكثيرون ، وحيث التسميم يهب رقيقاً عليلاً من الحقول القريبة . وهناك على بعد كبير بين الدير والسجن ترى العين النحدر الأبيض من القبة الساوية ، والحقول المترامية تتقلل في تلك القنينة الرمادية . . . وبعد ذلك ، بعد أن تجوز البركة الكدرة خلف الدير ترى ما يبدو لك كأنه حديقة فسيحة واطلة محاطة بسور أبيض كتب على بابه : (صعود سيدتنا الى السماء The Assumption of Our lady) . هناك تقف للمرأة وقفة قصيرة

في الزواج منه ، وان كل ما قالته له من أمر الزواج لا يتعدى السخرية منه والهزء به ، وانها فاولته مذكرتها ليقرأ فيها تلك الصفحات التي كانت قد كتبتها عنه .

قال الضابط (أقيت نظرة عجبى على تلك الصفحات — وذهبت الى الرصيف حيث كانت تخطر جيئة وذهاباً تنتظرني ربّما أن فرغ من قراءتها وسددت اليها مسدسى قتلها . وتلك هي اللذكرة في جيب معطفي ، انظر تحت تاريخ ١٠ يوليو من السنة الماضية . . .) . وهذا ما قرأه المحقق :

« الساعة الآن الثانية صباحاً ، استغرقت في نوم عميق لكنني ما لبثت أن استيقظت مرة أخرى . . . أصبحت اليوم امرأة . ابى وأى (توليا) كلهم سافروا الى المدينة وبيتى وحدى . ما أسعد الانسان أن يكون وحده . آه لو أستطيع أن أصف مبلغ سعادتي بوحدتي هذا اليوم . في الصباح أخذت أمشي في البستان بالزرعة . دخلت في الأيكة الوارفة الظل . خيل لى أنني وحدى في هذا العالم كله . ليس فيه غيرى . لم تلم بي قبل اليوم أمثال هذه الخواطر والأفكار اللذيذة . . . ما أحلاها . . . تناولت طعام الغداء وحدى ، ثم لعبت ساعة من الزمن . . . وألقت للموسيقى في روعى باننى يجب أن أعيش أبداً وأن أكون أسعد مخلوق على وجه الأرض ! ثم أخذتني سنة من الكرى في غرفة الاستقبال الخاصة بأبى . وفي الساعة الرابعة أيقظتني (كيت) وقالت لى إن (الكسى ميكاوالتش) قد حضر الى هنا . كم سررت بلقائه . كم كان جميلاً أن استقبله وأكرم مشواه . جاء ومعه جوادان مطهمان . ما أجملهما ؟ ظلا طيلة ليله واقفين عند الباب الأمامى . لكنه لبث هنا لأن المطر كان ينهمر كأنه القرب وأنه يرجو انقطاعه وجفاف الطريق عند المساء . أسف أشد الأسف لعدم لقائه ابى في البيت ، كان مبهجاً خفيف الروح مترعاً بالحياة ، عاملنى بكل لطف وأدب . وصار يتنادى منى ويذكر في دعابة وفكاهة أنه وقع في شرك حبى من زمن بعيد . وقبيل تناول الشاي أخذنا نخطر في البستان بين الأرياحين والأغصان المتمايلة وكان الجو رائئاً فاتناً ، ولكن البرد طفق يشتد ، وظللنا نمشى معاً ذراعاً بذراع ، وقال كأنه منى فاولست مع مرحجيت ! . هو في السادسة

في (موقدن) أقنعت نفسها بأنها — وباللسادة ولحسن الحظ — ليست كالأخريات ، وأنها بدلاً من الجمال ، وبدلاً من أن تكون امرأة حقيقية تتمتع بما للمرأة من أوثق ، بدلاً من ذلك لها عقل راجح ، وفكر ناقب ، هو أسمن من هذه الدنيويات الساقلة ، هي عاملة من عمال المثل الأعلى .

واولجا الآن محور أفكارها رخيالها ومبعث كل إعجابها وسرورها ، في كل عيد أو عطلة أن مهرع الى قبرها -- وقد ألفت الذهاب الى المقبرة بمد موت أخيها — تظل ساعات طويلاً شاخصة الى الصليب الخشبي . تذكر وجه (اولجا مسجرسكي) الشاحب المصفر وسط الأزاهير في النعش وتذكر أيضاً ما سمعته ذات مرة : ذات مرة في فرصة النداء بينما كانت (اولجا مسجرسكي) تمشي في بستان للدرسة تقول مسرعة عجلي لصديقتها الحليمة (سبوتين) الطويلة البادنة : (كنت أقرأ في كتاب من كتب أبي — وان لأبي لكتاباً قديماً لا تخصي ، أكثرها غريب نادرفيه الوفير من المتعة وفيه الجزيل من اللذة — قرأت عن الجمال التي يجب أن تتلصق المرأة ، وما أكثر ما هو مسطور هناك ، لست أذكره كله ، لكنني أحفظ منه بعض الشيء ، اسمي : عيتان سوداوان فاحمتان كالتقار يفل في جفنة ، صديقتي ، هكذا كان مكتوباً هناك ... كالتقار يفل في جفنة ! احاجبان سوداوان كالليل البهيم ، حمرة غضة تحضب الاهداب ، قد أهيف ، يدان أطول من المعتاد ، قدمان صغيرتان ، نهيدان بارزان ، ساقان مستديرتان متسقتان ، ركبناز يحكي لون رضافهما لون داخل الأصداف . كتفان عاليان لكنهما منحدران — لقد كدت أحفظ أكثره قيباً ، كله صحيح ، ما أشده انطباقاً على الواقع ، ولكن أتدريين ما هو أهم من كل هذا ، هو النفس الرقيق الناعم اللين ، وليس هو إلا هذا الذي أتفسه أنا . . . من الأعماق ، اصغ إلى ، ألا تجديته عندي ! . . . أليس هو رقيقاً)

والآن قد تلاشى النفس الرقيق مرة أخرى في العالم ، في ذلك اليوم الأشهب الغائم في ربيع الباردة القارسة ...

ع . الحمري

بغداد

ترسم مسرعة يديها صلياً على صدرها وتسير سالكة الطريق الأصلي ؛ ومتى وصلت لتتعد إزاء الصليب الجديد المصنوع من خشب البلوط ، جلست في تلك الريح الشديدة وذلك الهواء القارس ولبثت كذلك ساعتين . . حتى تؤلها قدمها من شدة البرد ، وهما في ذلك الحذاء الخفيف . وحتى تكاد تجمد يداها من قسوته ولذعته . وبينما هي تستمع لأطيبار الريح تسدح بالنساء العذب ، والصوت الرخيم الرقيق حتى في ذلك البرد القارس . وبينما هي تصني الى صفير الريح تمر من تجاوزف اكليل الخرف وتضاعيفه تبرق في رأسها ففكرة أنها تقدم نصف حياتها لو أن ذلك الاكليل البارد الميت لا يكون أمام عينيها . ثم ان (اولجا مسجرسكي) هي التي دفنت في ذلك القبر ، هذه الفكرة وحدها ، تتمرها في لجة من الذهن البالغ والحيرة المتناهية ، فيبدو عليها وجوم عميق وذهول غريب وجزع مروع : كيف يستطيع الانسان أن يجمع بين طالبة غضة بضة لا تتجاوز سنها السادسة عشرة ، كانت قبل شهرين أو ثلاثة تنفجر حياة ، وتسطف فتنة ، وترفل بأزهي حلال السعادة والهناء . كيف يستطيع الانسان أن يوفق بينها وبين تلك الأكمة من التراب وذلك الصليب الخشبي ؟ أممكن أن تكون هذه هي نفس هذه الفتاة التي تشع عيناها بالخلود الأزلي من هذا الاطار النحاسي ؟ وكيف يستطيع الانسان أن يجمع بين هذه الطلعة المشرقة الوضاعة وتلك الحادثة الغظيمة التي ترافق الآن اسم (اولجا مسجرسكي) ؟ رحماك يارب ! إن هذا ليعجز الافهام . . ولكن هذه المرأة القمئة الضئيلة الجسم سميدة في قرارة نفسها ، سميدة كأولئك العاشقين الذين وقفوا حياتهم على حلم عاطفي جميل . . .

هذه المرأة هي معلمة (اولجا) في المدرسة . فتاة أربت على الثلاثين ، ظلت منذ زمن بعيد عاتقة على هوس في قرارة روحها كان هذا الهوس أول الأمر ينتاب أخاها — وهو ملازم في الجيش ليس فيه ما هو جدير بالاهتمام أو قمين بالالتفات — كل روحها كانت معلقة به ، متصلة بمستقبله بأمين الصلات ، اتصالاً تنصرون أنه لا بد يوماً ما مود بها الى أرض من أرضه عبق . وبمذ ذلك لما قتل أخوها

المارد الأنانى

لأوسكار وايلد Oscar Wilde

ترجمته: عبد القادر صالح

أوسكار وايلد من أبرز رجالات الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر، نعم في حياته بما لم ينعم به الكثيرون من مشاهير الأدب: شهرة واسعة وحسن تقدير مصحوب بالحب والاعجاب. ولكن الدهر الذى لا يستقر على حال قلب له ظهر الجن في الشطر الأخير من حياته، فقامى من الهوان والفاقة ما حطم جناحيه، وطمس عبقريته، فمات شريداً طريداً في باريس. ولد أوسكار وايلد من أبوين إنجليز في سنة ١٨٥٤ في دبلن حيث قضى سني دراسته الأولى، فورث عن أبيه الدكتور « ويليام وايلد » إفراطه في الميل الجنسي، وعن أمه ميلها للفن، فقد كانت شاعرة ناثرة، لها مكاتبا.

أم دراسته في أوكسفورد؛ وهناك أعجب بالأداب اليونانية والحياة اليونانية القديمة التي أروحت اليه مذهبه في الأدب، وهو: الفن للفن. وفي أوكسفورد نما فيه ميله الجنسي الشاذ، الذى كان الصخرة التي تحطم عليها مجده

اشتهر « أوسكار » منذ أيام دراسته الأولى بطلاوة الحديث ورقة اللداعة، ببعد الجمال ويمقت القبح؛ لم يتحدث الى انسان إلا وود المحدث اليه أن لا يسيد أوسكار الأحدث من أولها. فشهرته في الدرجة الأولى تركزت على طلاوة حديثه وظرفه، ثم على أدبه، ولاسيما رواياته التمثيلية وقصصه البديعة.

ترجمت في « الرسالة » قطع من كتابات هذه الشخصية العجيبة التي كانت تفتخر البيوتات الأرستقراطية في إنجلترا بزيارته لها. وهأنذا أترجم لقراء الرسالة قطعة أخرى من غرر ما كتب، تتجلى فيها روح الكاتب بأجلى بيان. على أنني تصرف في ترجمة بعضها تصرفاً قليلاً:

حديقة غناء، مترامية الأطراف، يكسوها المشب الأخضر

الغض، ويزيد في جالها ما يسدو فوق الحشائش هنا وهناك من الزهور الشبيهة بالنجوم. فيها اثنتا عشرة شجرة من الخوخ، تزهر في الربيع أزهارها البهية، وفي الخريف تنوء بجثمل ثمرها اليناع.

تلك الحديقة هي جنيئة المارد التي اعتاد الصبية أن يلعبوا فيها بعد ظهر كل يوم إثر انتهاء وقت المدرسة. وكثر ما كان أولئك الصبية يقفون ألباهم ليصفوا الى أعاريد الطيور العذبة التي كانت تنبث من بين الأغصان، ولكم كان يخاطب بعضهم بعضاً: « ما أسعدنا هنا ! »

عاد المارد من زيارته لصديقه عفريت « كورنول » التي استغرقت سبع سنوات تحدث فيها اليه بما طاب له من الحديث. فلما قدم الى قصره ورأى الأطفال يلعبون في الحديقة انهرم قائلاً: « حديقتي! حديقتي! كل فرد يستطيع أن يفهم ذلك، ولن أسمح لأحد أن يلعب فيها ». فلأذ الأطفال بأذيال للفرار.

وعلى أثر ذلك أحاط الحديقة بسور عال علق عليه لوحة أعلن فيها أن كل من يتهك حرمة حديقته بدخوله إليها يحاكم. فكان بذلك مثال المارد الأنانى.

لم يكن للصبية مكان يلعبون فيه. حاولوا أن يلعبوا في الطريق، ولكنها كانت مملوءة بالحجارة القاسية والتراب، فلم ترق لهم؛ فصاروا يطوفون بجدران الحديقة آسفين على تلك الأيام السعيدة التي قضوها فيها.

ورد الربيع وأخذت الأزهار تشقق عن أكمامها، والطيور تنرد على الأفنان في طول البلاد وعرضها. ولكن الشتاء مازال ضارياً بجراحه فوق جنيئة المارد الأنانى. فقد أنفت الطيور أن تنرد على أشجارها والأطفال بعيدون عنها، ونسبت الأشجار أن تزهر.

نجمت زهرة من بين الأعشاب اتفاقاً، فلما رأت الاعلان أسفت لما حل بالصبية فمادت أدراجها الى بطن الأرض. ولم يتم بتلك الجنيئة في غياب الأطفال سوى الثلج والصقيع اللذين استبشرا قائلين: « هجر الربيع هذه الجنيئة وستمتع بها طيلة السنة. »

غطى الثلج أعشابها ببساطه الأبيض، وصبغ الصقيع الاشجار بصبغه الفضى. وما لبس أن دعوا « الريح الشمالية » لتشاطرها الاقامة في تلك الحديقة فلبت الريح الدعوة مزمنة بالفراء، وأخذت

يقول : « ما كان أشد انانيتي ! » الآن أدركت سبب تأخر الربيع . سأضع ذلك الصبي الصغير على قمة الشجرة وسأهدم السور « وستصبح حديقتي ملعباً دائماً للأطفال . »

هبط الدرج ودخل الحديقة بلطف ، فلما رآه الصبية ذعروا وفروا . فعاد الشتاء الى الجنيينة . غير أن الطفل الصغير لم يفر . لأن عينيه كانتا مفرورتين بالدموع فلم ير المارد عند قدميه .

أناه المارد من خلفه وأمسك به برفق ثم وضعه فوق الشجرة فاستحالت الى أزاهير جميلة ، وتهاننت العصافير لتسرد عليها ، فتح الطفل ذراعيه من شدة الفرح وطوق بهما عنق المارد ثم قبّله ، فلما رأى الأطفال الآخرون ان المارد فقد فظاظته عادوا الى الحديقة سراعا وعاد معهم الربيع ، فهش المارد اليهم ، وخطبهم بقوله : « هذه جتكم أيها الأطفال الصغار » ثم أخذ بمعوله الكبير يقوض الجدار .

ظل الأطفال يلعبون مع المارد في حديقته البديعة حتى المساء فأثوا يودعون « ولكن أين رفيقكم الصغير الذي وضعت فوق الشجرة ؟ » . فأجابهم الأطفال : « لا نعرف . لقد ذهب » « احرموا على عجيته غداً » . فأخبروه بأنهم لا يعرفون مسكنه وأنهم لم يروه قبل ذلك اليوم ، فحزن المارد حزناً شديداً لأنه أحب ذلك الطفل الذي قبّله حباً جماً .

صار الأطفال يأتون كل يوم بعد الظهر ويلعبون مع المارد ، لكن الطفل المحبوب لم ير ثانية ، كان المارد لطيفاً معهم جميعاً ولكنه ما زال يحزن الى صديقه الطفل الصغير ، وكثيراً ما كان يذكره قائلاً : « ما أشد شوق لرؤيته ! »

تعاقبت السنون وشاخ المارد وضعف ، فلم يقو على اللعب ، ولذا كانت يجلس في كرسيه يرقب الأطفال وهم يلعبون معجيباً بهم وبجنيته :

« لدى زهور جميلة ، ولكن لا ريب في أن هؤلاء الأطفال أجل أنواع الزهور » أطل صباح يوم ماطر من نافذته وهو يرتدى ثيابه ، فأخذ يمس عينيه وينظر فيطيل النظر كأنما وقعت عيناه على شيء عجيب ، ولقد كان عجيباً حقاً . رأى في طرف من أطراف الحديقة النائية شجرة مكتظة بالزهور ، يتدل من أغصانها الذهبية ثمرها الغضى ، ورأى تحتها الطفل الذي أحبه .

ترأى طيلة النهار فتتلعق الداخن وتطرح بها .

« هذه بقعة جميلة . فلندع البرد الى زيارتنا . » وسرعان ما لبي « البرد » الدعوة فصار يقارع سطح القصر ثلاث ساعات متتاليات يومياً ثم يجرى بعد تحميم كثير من البلاط حول الجنيينة مزهداً . « لا أدري لماذا تأخر قدوم الربيع . على أنى وطيد الأمل بأن الجو سيتغير . » بتل هذا كان يتحدث المارد الى نفسه لما طال انتظاره للربيع . ولكن الربيع ظل على هجرانه وتعادى الصيف في صده .

قدم الخريف وأينع ثمر الأشجار في كل الجنان المجاورة . لكن جنيينة المارد ظلت خلواً من الثمر لأنانته . ترقص خلال أشجارها الثلوج والأمطار ، وتعبث بها الريح الشمالية والدمع . استيقظ المارد صباح يوم على موسيقى عذبة ، خيل اليه من حسن وقعها في نفسه ، أنها فرقة الملك تصدح مارة بقصره . ولم تكن في الواقع سوى ألحان طائر صغير يفرد خارج نافذته ، حمله طول عهده بأغريد الطيور في جنيته على الاعتقاد بأنها أعذب موسيقى في العالم .

وقفت الأمطار وسكنت الرياح الشمالية وأخذت النسائم تحمل اليه ريا عطرا خلال نافذته المفتوحة ، تنتم قائلاً : « ها هو الربيع قد قدم . » نهض من فراشه وأطل من النافذة . فإذا رأى ؟ منظرأ عجيباً .

رأى الأطفال الذين قد تسللوا من ثغرة في الجدران جلوساً على أغصان الأشجار . كل شجرة تضم بين أغصانها طفلاً . فكأنها اغتبطت بمراهم فتفتحت أزهارها ومادت أغصانها فوق رؤوسهم ، وكانت المصافير تحوم حولهم تشفق شفقة الفرح . وصارت الزهور تتسابق للظهور من بين الأعشاب ضاحكة . لكن الشتاء ما زال ماثلاً في أبعد نقطة من الجنيينة حيث وقف طفل صغير لم يساعده قصره على تسلق أغصان الشجرة القريبة منه . فأخذ يدور حولها وهو يبكي أسر بكاء . عثر على الشجرة أن تظل مغطاة بالثلج ، وأنت تظل الريح تصفر فوقها فأخذت أغصانها تدنو من الطفل وأفانها تتدلى ، ولكنه لم يستطع تسلقها لفرط قصره .

ملي قلب المارد حناناً وهو ينظر اليه فتاب اليه رشده وأخذ



مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنانه

[الطبعة الثانية] نمت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة

لئن كان لهذا القلم الضيف أن يطمح الى ما هو أبعد من غايته ، فإن مما يبهج نفسي أن أحدث عن هذا الكتاب القيم ، وقصاراى أن أتم هذا الحديث على خير ما أرجو من دقة ، وعلى أحسن ما أحب من انصاف .

الكتاب كما يتضح من عنوانه ، يصور لك أدوار ذلك للصراع العظيم الذى قام بين الاسلام والنصرانية منذ أن وثب العرب من صحرائهم ، وأتحنوا فى أراضى الدولتين الفارسية والرومانية ، والذى يجلى فى عدة مواقف مشهودة كحصار العرب للقسطنطينية ولقائهم أعداءهم فى الغرب فى موقعة بلاط الشهداء ، ثم ما كان من بسط العرب سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط واحتلالهم اقرطش ، وصقلية ، وروما ، وجنوب ايطاليا ، الى أن تطور هذا النزاع الى دور الحروب الصليبية وما تخللها من لقاءات

هرول الى الجنينة مسرعاً ، فلما دنا من الطفل صعد الدم الى وجهه ، واحمرت عيناه غضباً ، إذ رأى راحة الطفل دامية « من تجاسر أن يجرحك ؟ اخبرنى لكي أذبحه بسيفى الكبير . » فأجابه الطفل « لا . هذه جراح الحرب ! » فاستولى على المارد خوف غريب ، ثم جثا أمام الطفل قائلاً : « من أنت ؟ » فأجابه الطفل مبتسماً :

« سمحت لى أن ألعب مرة فى جنينتك ، والآن ستذهب مى الى جنينتى التى هى الفردوس » ترا كض الأطفال بعد الظهر كعادتهم فوجدوا المارد الميت تحت الشجرة مكفناً بالزهور البيضاء .
نابلس
عبد القادر صالح

هائلة بين قوى الاسلام والنصرانية ، وأخيراً ما كان من أمر العرب فى الأندلس ، وتقوض دعائم ملكهم العريض هناك .
وتلك المواقف الحاسمة التى يتخذ منها المؤلف الفاضل عنواناً لكتابه هى فى الواقع موضوع واحد ، فهو وإن اختلفت مظاهره وتعددت ميادينه ، وتسلسلت عصوره ، لا يخرج فى جوهره عن الصراع بين الاسلام والنصرانية ، ولقد أعجبنى من المؤلف تبيينه الأذهان الى ذلك فى مواطن كثيرة .

ولقد صور الأستاذ للمؤلف كل هاتيك المواقف تصويراً دقيقاً رائعاً ، مبيناً أثرها فى مصائر كل من الطرفين فى وضوح يؤيد ما اشتهر به من بسطة فى فنه ، وسعة فى اطلاعه ، والملم عجيب بالمواضيع التى يطرقتها ؛ ولقد أضأت الى تلك المواقف طائفة من الفصول سماها « بحوثاً مفردة » والواقع أنها ليست مفردة ، وأن اتصالها بالموضوع وثيق ، بل أنها تعد ضرورية له ، ومن أمثلة تلك البحوث الهامة « الدبلوماسية فى الاسلام » و« الفروسية » و« الرق فى العصور الوسطى » وغيرها مما يلقي ضوءاً على الموضوع الأسمى ؛ ولا يفوتنا أن نذكر مع مزيد الإعجاب أن المؤلف مهد لكتابه بفصلين فى غاية الأهمية هما « وثبة العرب » و« سياسة العرب الدينية » ؛ فأرانا فى الفصل الأول ، فى تعمق ودقة وقوة بيان ، تلك الروح التى سيطرت على العرب فى جزيرتهم ، وأرانا فى الفصل الثانى ، روح الاسلام فى معاملة الأمم التى كانت تدخل فى حوزته موردآ فى ذلك كثيرآ من الأمثلة والاقبليات ، شارحاً الأحوال الاجتماعية والسياسية التى كانت تسود ذلك العصر .

فأنت ترى من هذا الوصف اللوجز أن الكتاب يجمع بين الفائدة واللذة ، أو بعبارة أخرى فهو للثقافة والاستمتاع .
أما طريقة الأستاذ فى كتابة التاريخ فجديرة بالاعجاب حقاً ، فهو لن يسرد عليك الحوادث سرداً عملاً ، بل ترى له طريقة اتقادت له وسهلت فى يديه وأصبحت وفقاً عليه ، طريقة طالما

في مدينة بروست

(بقية المنشور على صفحة ٩٦٤)

لا تقع عيني في مجلسي هذا إلا بجلى أكداس من العبر ،
وأسطار من حظوظ البشر . وما أشقى هذه النفوس التي لا تقلب
بصرها في هذا العالم الا لتقرأ ما وراء صورة من عظات وآلام ،
يا لها ذكريات تجيش لها النفس ، وينطلق بها الفكر في مسالك
يمينا بها جهد الفكر .

فهد بروسة الجميلة سهلها وجيلاها ، ودورها وشجرها ، والله
فيها هذا التاريخ العظيم يملأ أرجاءها ، وللهذه النفس ، كما خلت
وطلبت للفراغ مجلساً أنهار عليها من العبر والفكر ما يكدرها
ويحزنها ، ويفر بها عن الناس ، ويسمو بها في معارج من
الحقائق والخيال تلتبس فيها السعادة والشفاء .

أيها القلم حسبك ، فإي تركني الناس أبلغ من خلوتي غايتها .
فهاهم قد أقبلوا يتحدثون ، وهما أصوات الترد تطير عني
أسراب الأفكار . وقد يمينا قال أبو العلاء :

حوربت في كل مطلوب همت به

حتى زهدت فما خلت والزهدا

إيه يابروسة والدنيا غير ، والدهر قلب ليت شعري ،
وأنا أجك ، وأود لو انفسح الزمان للأقامة فيك أياماً ، لتبلغ
النفس من جمالك وجلالك أمانها - ليت شعري أراك مرة
أخرى ، أم تلك جلسة التسليم والتوديع إلى الأبد ؟ . إنما العلم
عند الله ، وما نحن إلا ظلال متقلبة ليس لها من الأمر شيء . ما
عبر الراهب عزام

الرسالة في شهر الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة إلى قرائها مدة

المطلة تقبيل الإدارة الاشتراك الشهري بواقع

أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

تطلعتنا إلى وجودها في كتابة التاريخ باللغة العربية ، فهو يحلل
ويدقق ، ويمحص الحوادث في نظام علمي دقيق ، دون أن يملك أو
يطوح بك في مجاهل مطموسة الصوى ، جائرة السبل ، وإنك
لتحس شخصيته في كل عبارة من عباراته ، لأنه يفرغ على القرطاس
صور ذهنه ، وحاس قلبه ، كما أنك تلمس آثار جهوده في كل
فقرة من فقراته ، قراءه يمرض عليك الروايات المختلفة ، والآراء
المتنوعة ، ثم يقف منها موقف الناقد الذي يمكنه من الحكم
والفصل ، ذاكرة قوية ، وقراءة واسعة ، وصبر شديد ؛ ولن تراه
يتهرب من نقطة أو يتحيز إلى رأي ؛ كل ذلك في فطنة ونفاذ
بصيرة ، فإذا أضفت إلى هذا أن الأستاذ عناناً مشغوف بموضوعات
التاريخ الاسلامي ، وأنه لن يكتب إلا ما جاشت به نفسه ونبض
به قلبه ، أمكنتك أن تفهم الروح التي يكتب بها الأستاذ التاريخ ،
والواقع أننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن طريقة الأستاذ عنان في
كتابة التاريخ قد ثبتت عندنا ناحية من نواحي الحركة الفكرية ،
كما أن الأستاذ نفسه قد صار ركناً وعلماً تفاخر به أهل القرب ،
فطريقته العلمية الدقيقة في كتابة التاريخ تضع آثاره في صف
مثيلتها في لغة القرب ، مما يعد مفخرة للعربية وأهلها .

وهناك ناحية أخرى في كتابة الأستاذ عنان جديرة بالتنويه ،
تلك هي أسلوبه ، فالأستاذ أسلوب خاص ، تحار إن أردت
شرحه ؛ فبإدارته قوية وسط بين المقبوضة والبسطة ، لا ترى
فيها حشواً ولا تجد كلمة تستعمل في غير موضعها ، أو تجد لفظاً
يقصر عن أداء معنى ، أو يتسرع حتى يطنى على ذلك المعنى فيضيمه ،
كذلك لن تجد عبارة قاهرة في موقف حماسي ، أو جملة حماسية من
غير داع ، هذا إلى جمال ورواق في غير تكلف أو إسفاف .

أما عن مظهر الكتاب وطبعه وترتيبه ، فحسبك منه أنه مطبوع
في مطبعة دار الكتب ، على ورق جيد من القطن الكبير ، ولقد
ختمه المؤلف الفاضل بثبت للمراجع العربية والأجنبية ، ثم
بفهرس للأعلام التاريخية والجغرافية ومقابلها الأجنبي ، ثم بفهرس
عام للكتاب .

ونحن لا يسعنا إلا أن نتقدم بعبقير الشكر للأستاذ المؤلف
على مجهوداته التي ترفع رأس العربية ، وتشرف أهل الضاد جميعاً .

محمد الحنيف